ربيعي الاول

— ١ —

منذ اغريت نفسي بان نتحدث عن الربيع فأجابت بعد لأي ، وانا اكتشف اشياء واشياء ، وكأني لا عهد لي بها من قبل . ففي جنينة البيت ابصرت فجأة شجرة مشمش (يزعمون انها حضرت مولدي) اعجبني منها ، اول وهلة ، هذا الزهر الاحمر الضارب الى صفرة ، عالقاً باغصانها قناديل صغيرة مضاءة في رائعة النهار ، لاطفال في عيد . لكن ما لبثت ان عرفت سر القناديل ، فاذا كل واحد منها لحظة عتب ساخر ، ترمقني به الزهراء شزراً ، وهي تقول : « الان رأيتني ؟ الان رأيتني ؟ . » تقولها وهي تتعمد صدّي ، كأنما يسوءها ان اتقدم ، فاشارك الاطفال افراح عيدهم .

وخطر لبالي ان اذكر الشجرة ، أمسها القريب ، حين لم تكن سوى عيدان جرداء ممتـدة في الافق القاسي ، ايادي تبسطها الفاقة في السؤال لا لحم عليها ولا دم .. فغاظني انها صدفت عني غير مبالية ، وطفقت ترفل في خيلائها ، كالصبية الحسناء ليلة عرسها ، ترسل آخر نظرة صادقة على حلتها ، متهادية ذات اليمين وذات الشمال — ، وودعتني بنفحة من ارج ساطع خيل اليّ انها تقهقه به ضاحكة .

وسولت لي نفسي ان اثأر لها . فخرجت الى الجنينة ، وأخذت بخصر الشجرة السعيدة ، فهصرته وهززته مغضباً ، فتساقطت المسكينة على رأسي ، وفوق كتفيّ ، وبين اقدامي ، زهرات يتامى . وفيما كنت واقفاً ارجو ان اراها تجهش في البكاء ، اذا بها تتلملم باسرع من لمح البصر كأن لم يك شيء ، فتصلح زيها الذي تشعث قليلاً ، ثم تعود في خيلائها ، مضاءة بانوار الربيع .

قلت لنفسي وانا اتكلف سروراً ظاهراً : « هلمي بنا في هذا اليوم المشرق من ايام البعث ! . لنطرح الكتاب جانباً ولنمض الى الضاحية ، فنستقبل بشائر الربيع .»

فتبعتني نفسي ، وكنت اتلفت ورائي ، حيناً بعد حين ، لأنظر اين هي ... ومشيت على مهل ، وانا اسرح الطرف معجباً ، كأني افتح على الكون عينين جديدتين لم يسبق ان استعملهما احد ، كمثل نافذتين في دار مهجورة اقفلتا زمناً طويلاً ، فلما آب الى الدار اهلها ، وفتحت النافذتان ، اخذتا تنظران وكأن الارض بُدلت ، والسماء غير السماء .

وفيما كنا في الضاحية ، نبحث عن موكب للربيع تدق فيه البشائر ، اذ تجهم وجه الدنيا وتربد بالسحاب ، ثم انزل المطر علينا مدراراً .

وهكذا عدنا من حيث اتينا ، ونحن نقص على الناس اننا رأينا الربيع يدخل البلد متنكراً في ثوب الشتاء ، مشمراً اذياله بين الوحل والماء ..

— ٢ —

ذهب ربيـع وجاء ربيـع ..

قالت ماري لاختها : « تعالي .. انظري الى هذه الشجرة الزاهرة في جنينة الجيران .. سألني : ما هذه الشجرة يا ماري ؟ اجبت : شجرة مشمش ، يا معلمي . قال : أأنت واثقة ؟ اجبت : نعم .. وأعاد عليّ السؤآل .. ثم اخذ في الكتابة ليلة بطولها . فمزق كثيراً من الورق قبل ان يملأ صفحة واحدة ..

(من كتاب يصدر قريباً : اديب في السوق)

عمر فاخوري

الآن

من ديوان « همس الجفون » ، الذي يصدر قريباً

◆

غداً اردّ هبات الناس للناس وعن غناهم استغني بافلاسي
واسترد رهوناً لي بذمتهم فقد رهنت لهم فكري واحساسي
ورحت اتجر في اسواق كسبهم فما كسبت سوى همّ ووسواس
وكم فتحت لهم قلبي فما لبثوا ان نصّبوا بعلهم في قدس اقداسي

* * *

غداً اعيد بقايا الطين للطين واطلق الروح من سجن التخامين
واترك الموت للموتى ومن ولدوا والخير والشر للدنيا وللدين
وألبس العري درعاً لا تخططه ايدي الملائك او ايدي الشياطين
فلا تروّعني نار الجحيم ولا مجالس الحور في الفردوس تغريني

* * *

غداً اجوز حدود السمع والبصر فادرك المبتدا المكنون في خبري
فلا كواكب الاكوان لي سبل فيها ، ولا تربة الا بها اثري
لي في القضاء قضاء والمنون منى وفي ملاحمة الاقدار لي قدري
غداً؟ . . ولا امس لي حتى اقول غدا فلتمحها الآن من نطقي ومن فكري

ميخائيل نعيمه

نحو الانبعاث الادبي في فرنسا

بقلم جان غوليه

ان حوادث حزيران ١٩٤٠ وسياسة فيشي اغرت الفرنسيين واصدقاء فرنسا بان يحسبوا في حين، ان الثقافة الفرنسية قد قضت نحبها، وانه بعد ان سطع منها نور لا مثيل له، اصابها ما اصاب الثقافتين اليونانية واللاتينية من قبل، ففاجأتها داهية دهياء بضربة مميتة

هذا الحكم سطحي سخيف، فالحقيقة هي ان حالة فرنسا في هذا الشطر الاول من القرن العشرين تاثل، مماثلة عجيبة، مطلع القرن السابع عشر الذي لم يكن باجمعه – كما يُظن غالباً عن خطأ – عصر توازن ونظام وانسجام، بل عهد قلق واضطراب في نصفه الاول، اي حتى عام ١٦٤٣ وهو عام معركة روكروا التي استتبت فيها الغلبة لفرنسا على الحلف الاوروبي، وسُلخ فيها الادب الفرنسي من سيطرة الطليان والاسبان، ممهداً له السبيل الى تحقيق توازنه الكلاسيكي المشهور.

كانت الدولة الاسبانية عهد ذاك في اوج عظمتها. فكان ملك اسبانيا باسطاً سلطانه على روسيليون وبربينيان في الجنوب، وعلى الارتوا في الشمال، وعلى الفرانش كونته في الشرق. فكانت فرنسا محصورة من كل جانب، ولا سيا ان هذه البلدان كانت منذ ١٦٢٠ حليفة امبراطور النمسا فردينان الثاني الذي امتدت ممتلكاته من هولندا الى البيامون. فكأنها صورة مسبقة لاوروبا المنكرة المهولة التي بعثها المحور من العدم وعرضها لانظارنا. وكما احتيج الى حرب ٣٠ سنة لتحطيم الطغيان الاسباني وانقاذ فرنسا من كل خطر والحصول على حسنات معاهدة وستفاليا، فنحن اليوم – كما يقول شارل ديغول – نعاني منذ ١٩١٨ اهوال حرب ثلاثين سنة اخرى مع كل ما يرافقها من آلام وشقاء.

في حرب الثلاثين السابقة اشرفت فرنسا على التلف اكثر من مرة، رغم عزيمة ريشيليو الصادقة. ففي سنة ١٦٣٤ مثلاً، لما سحق النمساويون والاسبان حلفاءها الاسوجيين في نوردلنجن – كما سحق حلفاؤنا البولونيون سنة ١٩٣٩ –، وكذلك سنة ١٦٣٦ لما دخلت الجيوش الامبراطورية بورغونيا، بينا كان الاسبان يجتاحون بيكارديا وينحدرون حتى ابواب باريس، كانت الصدمة عنيفة جداً، وكلف ايقاف العدو اكبر عناء. في ذلك الزمن الاسود المشحون بالمحن اصاب الفكر الفرنسي ما اصاب الوطن الفرنسي من ضغط جيرانه الساحق. ففي عهد الوصية ماري دي مدشي كانت السيطرة للروح الايطالي. ثم في عهد الملكة حنة دوتريش للروح الاسباني، بذلك الميل الفطري الذي يحمل الشعوب على مجاراة القوي حتى في عادات تفكيره السيئة. فليس عجيباً ان يكون الكتاب قد انصرفوا عهد ذاك الى اقتباس السخافات الايطالية والاكثار من المقطوعات الشعرية المنمقة، يرون فيها تأنقاً وتندراً، في حين انها ليست الاتقليداً سخيفاً للظرف الايطالي المصطنع



الاستاذ جان غوليه

وفي وقت معاً ظهر في فرنسا التأثير الاسباني كما ظهر التأثير الايطالي. سوى ان اسبانيا لم تدفع كتابنا الى مثل العاطفية المزيلة التي لازمت الادب الايطالي في كل عصوره، انما جرتهم الى ضرب من الغلو والاطناب والفخفخة، غلب على جمهرة من المؤلفين الاردياء، حتى انه افسد على كورناي اجمل مسرحياته. وهكذا نجد في « السيد » بقايا من فخفخة اسبانية تصم الاذان لكن لا طائل تحتها.

حقاً ان « التكتل اللاتيني » لايصلح للفكر الفرنسي ، فقد كاد يخنقه ويقضي عليه الى الابد .

لكن فرنسا التي انهكت قواها عهدذاك ويلات الحرب فاثبت الرسام « كالو » صوراً منها لا تنسى ، فرنسا التي اوشك ان يقذف بها في هاوية الدمار الشامل ملكها لويس الثالث عشر المتوفى بعد حكم استغرقته مظاهر الضعف والتردد والمكايد والمؤامرات ، فرنسا التي وقعت في ايدي العجزمن الشيوخ والمحافظين « والعمليين الكاذبين » . لقد بقيت في فرنساهذه التي نال منها الفسادالايطالي والاسباني حتى بلغ العظم ، آمال في النهوض غير مكذوبة .

ففي سنة ١٦٣٧ اصدر ديكارت « كتاب المنهج » وهو المؤلف الاساسي للفكر الفرنسي ، وجدت ثمة اجيال متعاقبة قواعد التفكير الصحيح والعمل الحكيم . وفي سنة ١٦٣٧ بينما كان العدو يقترب من باريس ، تغنى كورناي باجمل قصائد البطولة التي تشهد لحيوية الروح الفرنسي بالخلود . وفي سنة ١٦٤٣ قضى كونده بانتصاره في روكروا على آخر امل للنمسويين والاسبان الذين كانوا يحسبون ان فرنسا المنهوكة العاجزة عن مقاومة طابورهم الخامس من فنانين وشعراء ، وكذلك جيوشهم الجرارة ، واقعة حتماً في ايديهم .

في روكروا انتصرت فرنسا الفتية التي لم تستطع اعظم المحن ان تنال منها ، فهي تنهض دائماً من عثرتها ، وعيون الاعداء ترمقها بدهشة ووجل .

ففي نوار ١٦٤٣ عقد النمسويون والاسبان عزيمتهم على القيام بغارة صاعقة على باريس ، يريدون تسديد الطعنة القاضية الى صدر الفريسة الجميلة التي كان يخيل اليهم انها اصبحت في مطلق تصرفهم . فزحفوا الى روكروا على تخوم اقليم الاردين الفرنسي ، في جيش عظيم بالقياس الى ذلك الزمن ، مؤلف من ٢٦ الف رجل يقودهم الدوق ده مللو حاكم هولندا وكبير اسبانيا بذاته . فذهب لملاقاته جيش فرنسي اقل عدداً يقوده الدوق دانغن وهو اذ ذاك في الثانية والعشرين من سنه . ورغم نصائح الحكومة الممثلة في شخص المارشال دي لوسبيتال العجوز الضعيف الانهزامي — ايضاً — باشر الجيش الفرنسي القتال بعزيمة صادقة افسدت على العدو خطته المدبرة .

لقد كانت باريس في خطر . وقد قال الجنرال ديغول في كتابه القيم « الجيش المحترف » : ان معركة واحدة يخسرها الفرنسيون على الحدود تعرض العاصمة : بهذا يقضي وضعها . » ان مصير باريس وفرنسا في الميزان . أيجب اذن الاصغاء الى تسويفات المارشال العجوز «الانهزامي» الذي وضع في كفتي الميزان دواعي الاقدام والاحجام ولا سيما الاحجام ؟ ان كونده لم ير ، من خلال حماسته الشابة ، هذا الرأي ، فعصى امر المارشال بحمية : انه عاص ثائر ، لكنه انقذ فرنسا .

اذا كانا رجلان مختلفان جداً في تفكيرهما كبوسويه وفولتير قد اثبتا — كل واحد باسلوبه الخاص — عظمة ذاك الانتصار ، فلأن كلاً منهما ادرك اهميته التي لا تحد . لقد كان من روكروا ضمان تحرر العقل الفرنسي ، وفوز الشبيبة الفرنسية ، والفجر الطالع لأنه اعظم عصر عرفه الفن والفكر في فرنسا .

لولا انتصار روكروا لم يكن من سبيل في فرنسا ، الى ازدهار العبقرية الكلاسيكية ، اي ذلك التوازن المنسجم لقوى النفس جميعاً ، الذي يمتاز به الذوق الفرنسي . ذلك ان الاستقلال او السيادة القومية شرط لابد منه لنهضة الفن والفكر اللذين لاموضع لهما اذا طغى على البلاد الاحتلال الاجنبي وما يلازمه من مظاهر الاستعباد والاضطهاد . ومن حالة فرنسا اليوم ، اذ تكاثر صنف الارقاء بين حملة الاقلام ، امثال الفونس ده شاتو بريان الذي يقلد الرجال العظام كالقردة ، ودريو لاروشيل وبرازيلاك وغيرهما من الحمقى الذين يريدون ايهام الناس بان على هذرهم سمة العبقرية — من حالة فرنسا اليوم يمكن ان نتصور دون عناء ، الحالة التي كانت تصل اليها لولا انتصار كونده في روكروا . فلا موليار ولا راسين ولا بوالو ولا لافونتين كانوا يتحفوننا ، لولا ذلك الانتصار ، بما اتحفونا به من الطرائف القوية واللطيفة على السواء ، والتي يحق لفرنسا ان تباهي بها سائر الامم . ان مؤرخي الادب الفرنسي ، في رغبتهم بان يعرضوا لانظارنا العصر الذهبي بمجموعه كقطعة من الرخام المشرق لا عيب فيها ، يهملون الاشارة الى التضاد القاطع الذي يفصل بين حكم لويس الثالث عشر الذي كانت تمزقه الفوضى والاندفاع الارعن والتفرد المفرط ، وبين حكم لويس الرابع عشر الذي اقام بلاطه على اسس دولة متوازنة منسجمة عرفت اخيراً معنى الطاعة والنظام .

ويبدو ان هذه الفوضى التي تتقدم النظام هي ضرورية لنشأة الروح الكلاسيكي ، بل اذا اردنا التعميم لمجيء عصر كلاسيكي . فالعصر الكلاسيكي يستهل بمثل تنهد المستريح . وهو يميل الى اظهار رضاه عن ذاته واكتفائه بها ، كأن المؤلفين والجمهور على السواء يشعرون بانه قد تحقق اخيراً تقدم ذو شأن بعد مخاض عسير .

فهم يعيشون في عهد ابعد عن الفوضى وادنى الى النظام من العهد السابق ، كأن الاجيال السالفة التي جمعت من اجلهم معارفها واختباراتها المتراكمة قد اورثتهم اياها مادة « خاماً » وان عليهم « صنعها »

وما نريد الاشارة اليه بنوع خاص هو الامل الكبير الذي يصح ان تعلقه فرنسا ومعها اوروبا، على نصر روكروا . ان فرنسا بين عامي ١٩١٩ و ١٩٣٩ عاشت ليس في زمن سلم بل في زمن، هدنة، خلال حرب الثلاثين الجديدة . ولقد انبت هذا العهد في عالمي الفن والادب على السواء عدداً جماً من الكفايات ، وربما من العبقريات المتعاكسة في طرائق ووجهات شتى ، الامر الذي يلازمه شيء من الفوضى . أثمة ما هو اشد اختلافاً من اثار كاتبين ككلودل وجيرودو ، او كفاليري وفرنسيس جام ، وكاندره جيد وجول رومان ؟ ان لهذا الثراء الطائل والتنوع الخليط والتفتح الرحب للاداب الاجنبية ، قيمته وفتنته لا مراء ، لكن الروح الفرنسي كان يعوزه كي يبلغ مداه ، ذلك الانتظام الاسمى، وهي مزية العصور الذهبية العظمى التي تندمج فيها كل الجهود الشخصية في وحدة خفية منسجمة عميقة، دون ان تخسر شيئاً من طابعها الخاص

وفي نظر كل ملاحظ منصف ان فرنسا التي ثابت الى نفسها ستفيد من هذه المحن الحاضرة ولا شك ، توازنا جديداً ، بل كلاسيكية قوية مثمرة . ان فرنسا في ربيع ١٩٤٣ ليست اشد انحلالاً واكبر ذنباً منها في نوار ١٦٤٣ . لكنها اليوم في مثل تلك المحنة ، ليس غير

وكما ان انتصار روكروا ، بل انتصار الفتوة ، بل انتصار امة تريد الحياة قد فتح للفكر الفرنسي آفاقاً لا حدود لها ، فكذلك سيضمن النصر القريب الذي يطهر ارض الوطن من كل فساد اجنبي انبعاث ذلك الادب الرحب مجالا ، البعيد غورا ، حيث يجد الناس جميعا غذاء لنفوسهم

ان هتلر وموسوليني سيذهبان دون ان يخلفا اثراً من الآثار ، وسيمحي اسماهما من حافظة الاجيال المقبلة كما امحى اسم فردينان الثاني من قبل . فما بنياه ليس اثبت اساساً مما شيده شارلكان . لكن هذه اليقظة العجيبة التي تبدو من الفكر الفرنسي ، وسط هذا السيل من الدموع والدماء ، جديرة بان تفهم المان الغد وطليانه، بل من يأتي بعدهم ايضاً ، ان « فرنسا لن ينتهي ابداً امرها . »

جان غولميه

شراع

◆

شراع بصور تودّ العصور
لو ان لها منه في التيه نور

غفا كالقدر
خضيب الصور
يواكب ماضيه
في المنتظر

ويرسل في اليم اشرعة الفكر قبل الضياء
غنياً كلبنان ، طودٌ تعالى ، وارضٌ سماء

حنانك صور
وأي شراع؟ . .
يقولون : ضاع
سلي قرطجنة
ألم يك منك
على الدهر منة

واثنا الذرى انتفاض الثرى
لتنكر في السفح طيفاً سرى

سخيّ اليد
يروّي الصدي
على الامس ظلّ
له سرمدي

ترى يذكرُ الكونُ انا بنيناه قدماً فكان
مدائنَ هزت عروشاً وغنى نداها الزمان

ترى يذكرُ
سنى الاحرفِ
وكفّ الخفي
ولبنان هل
دراه المدى
صباح الازل

صلاح الاسير

بيننا

◆

لالبير اديب

اهواك

عربدةَ نشوة امس بعيد

وصدى نغم ابحّ في الخاطر

ضلت به الايام وغاب

وقلت لن يرجع

فعلى ضيّقٍ من رحب الوهم وواسع الخيال

تلاقينا على غير موعد

فهويتك اشد مما تودّين

في ليل حرّان يشكو للسمّر

وهويتك اعنف مما ترغبين

على الرغم من ماضينا الغبي

وتلاشيت بين اناملك ، شذى بنفسجي الاريج

فعطرتِ به الوهمَ ، كبرياءَ لك

وأضعتُ انا ، الوردَ والعبقَ الطيبَ

فان تجاهلتِ شيئًا تجهلين

فاي تفسير لك ؟

سكرتُ ولم تسكري

فان عدتُ انا الى الماضي

فانت ، لن ترجعي

اللغة بين الفكر والخيال

بقلم عبدالله العلايلي



اردت ان انشر في الناس شيئاً فكان موضوع اللغة اول ما نشرت ، ورغبت في ان اذيع على اسماع النـاس حديثاً فكان موضوع اللغة اول ما اذعت وسيظل موضوعها اول كل ما اعالج ، لان اللغة احد وجهي الفكر كأحد وجهي الدينار على حد تعبير (ماكس مولر) ، فاذا لم تكن لنا لغة قومية تامة صحيحة فلن يكون لنا فكر قومي تام صحيح .

لن يكون لنا فكر قومي صحيح ، واحد وجهيه مهتز، مطموس المعالم . ويظهر لنا صدق هذا الرأي اذا ذهبنا ندرس علاقة المعاني بالالفاظ في حيز الفكر من وجهة نفسية خالصة ، فان احدنا لا يمكنه التفكير اذا لم تكن له لغة ذهنية ، والفكرة انما تتكون في رؤوسنا بكلمات او بعبـارة ادق باشباح هذه الكلمات الثابتة في جوهر النفس . فامكانية التفكير اولا وآخراً تستند الى اللغة التي يتأتى للمرء استخدامها في جمع عناصر الفكر ، ففرض انسان بدون لغة معناه فرض انســان بدون فكر ، ولا يسعني ان اتبسط في شرح هذا الرأي وسرد شواهده فقد اصبح بعد تحقيقات امثال (مولر) الذين درسوا اللغة من وجهتها النفسية بديهياً جداً . ولكن الذي اراني في حاجة الى الكلام عليه ، هو علاقة اللغة القومية بالفكر القومي .

بعد ما ثبت لنا من علاقة اللغة بالفكر علاقة تجعلهما كالكل البسيط ، وبعدما اثبت العلماء ان العارض العضوي يتحول الى عارض نفسي يهتز به المخ اهتزازات خاصة ، وبعد مـا اثبتوا ايضاً ان العوارض العضوية في حقيقتها ليست الا استجـابات على محرضات البيئة طبيعية كانت او صناعية ، يثبت ان جوهر الفكر في المجاميع البشرية مختلف اختلاف المحرضات البيئية نفسها ، فليس هناك وحدة في جوهر الفكر وبالتالي ان تكون هناك وحدة في في جوهر اللغة .

ومن المستحسن ان نشرح مقدمات هذا الرأي: يقول العلامة (بواس) ان الخصائص المادية والمعنوية انما هي استجابات عضوية على محرضات خاصة ، فسواد البشرة مثـلاً استجابة عضوية على محرض طبيعي وهو الحرارة ، وظهور المسام بهيئتها البـارزة على سطح البشرة استجابة عضوية على محرض طبيعي وهو خاصية الحرارة في تمديد الاجسام ، وجفاء الصحراوي استجابة نفسية على محرض طبيعي وهو نضوب الصحراء ، وحذر البدوي وقناعته استجابة نفسية على محرضات بيئية في الصحراء . ولما كان العارض العضوي يتحول الى عارض نفسي ، كان كل ما نعهده في الفكر والضمير ينحل ويرجع الى عناصر بيئية متحولة تحولا معنويـاً ، ولذلك كان حيث تقل مظاهر الجمال ينحط المثل الاعلى او لا يوجد .

لذلك نستطيع ان نعطي هذا التعميم ، بتفهم البيئة لكل امة ومحرضاتها نستطيع ان نتفهم حقيقة ما ينبغي لها ان تفكر به .

ولما كانت البيئات تختلف محرضاتها اختلافاً بيناً ، كان لابد من اختلاف الفكر ايضاً ، واللغة كما سبق وقررنا احد وجهي الفكر ، فلا بد ان تكون فيها خصائص روحية من نوع خصائص الفكر فقد يكون بين مجموع من البشر وآخر اشتراك في اللغة ،

ولكن لن يكون بينهما اشتراك في روحية اللغة .

فالعربية حينما تسنى لها ان تمتد على شعوب مختلفة بدا الاختلاف في روحيتها، وان كانت واحدة في مفرداتها، حتى المفردات لاتبقى واحدة في نكهتها واحساس النفس بها، لان خيال الالفاظ في الفكر يختلف باختلاف الفكر نفسه . وتذوق الالفاظ اكثر ما يظهر اليوم اختلافه بين فروع العامية، فاللبناني يحس ببعض الكلمات التي اكسبها خياله ألواناً خاصة، احساساً لا يشاركه فيه ابناء العربية الاخرى . انهم يفهمون معناها ولكنهم لا يتذوقون طعمها، ذلك الطعم الذي هو روحية الكلمة .

وان محرضات البيئة الصناعية التي تختلف باختلاف العصور ودرجة النشوء الاجتماعي والعمراني، تؤثر عين هذا الاثر في روحية الألفاظ . فان اللفظة يكون لها من الصور في عصر ما لا يكون لها في عصر آخر، مع انها لا تزال حافظة لمعناها نفسه .

واليك هذا المثل من الادب العربي القديم، كانت لدى العرب القدامى فكرة خاصة عن الاحصان، ولها قداسة يستشعرونها استشعاراً نبيلاً قوياً، وكانت هذه الفكرة او هذا الخيال الذي يضفو حول كلمة الاحصان لا يزال حياً في زمن عمر بن ابي ربيعة فذهب يعبر عن طهر الهوى وان اخذ ظاهره الجافة بقوله :

وحساناً جواريا خفرات حافظات عند الهوى الاحسانا

فكلمة الاحصان يتذوقون فيها كل ما نشاء ان نتذوق اليوم من كلمة فضيلة او اخلاق .

وبدأ عامل جديد الى جانب عامل الاحصان يأخذ محله في خيال العرب ويكون لنفسه هالة من القداسة وهو الاسلام، ولكنه لم يصل بعد الى قمة القداسة فقال عمر نفسه :

طلبن الصبا حتى اذا ما اصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالم

ودار الزمن دورته وتركز الخيال الجديد حول كلمة الاسلام وغدت قداسته تجيء في الدرجة الاولى من اشياء النفس، فقال بشار بن برد يعبر عن الصورة نفسها التي اراد عمر التعبير عنها :

أنس غرائر ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانياً ويصدهن عن الخنا الاسلام

فبشار كعمر يريد ان يقول كان لهن سياج دون صبوتهن، ولكن ما كان ليبلغ بشار مبلغاً ما من حاسة الناس الفنية لو قال (ويصدهن عن الخنا الاحصان) ، لانه لم يعد لهـا ذلك الاسر والخلب والتقديس . يدل لهذا صوره الاسلامية التي اجتهد بابرازها وانتقائها في قوله (كظباء مكة صيدهن حرام) ، مما يشير الى ان العصر استحالت فيه معنوية الاسلام الى حد القداسة المطلقة .

ونحن اليوم لا نتذوق في كلمة احصان واسلام ما كان يتذوقه اولئك الماضون، وربما كان ادخل في ذوقنا وأفعل في احساسنا كلمة اخلاق او فضيلة .

واذكر أني قرأت لابن شرف الشاعر الافريقي، ان بشاراً كان اولى به ان يقول (أنس غرائر ما تُزَنّ بريبة) أي تتهم بدل (ما هممن) ، لانها تفيد انهن لا يتهمن فضلاً عن انهن لم يهممن . وهذا صحيح اذا وازنا فقط بين كلمة وكلمة وأطلقنا للفكر النظر المجرد، فان كلمة (تزن) تصلح ان تضاف الى عصر عمر بن ابي ربيعة الذي لم يكن فيه ذلك النوع الشديد من التزمت وغل مجانة المرأة باغلال فرضها المجتمع، ولكن في مثل عصر بشار وقد بدأ يستنكر هذا النوع من الاباحة وقد بدأ بالفعل يتهم هذا السلوك الذي عبر عنه بقوله (يحسبن من لين الحديث زوانياً) لا تقوم كلمة تزن مقام (هممن) .

ومحرضات البيئة الصناعية التي تختلف في العصر الواحد والمحيط الواحد باختلاف الطبقات والوانها المتراكبة تترك اثراً ايضاً في اللغة والادب، فما يحس به ابناء طبقة ويتذوقونه لا يحس به الآخرون وقد لاحظ هذا الشاعر ابن الرومي حينما قيل له انك لا تحسن ان تقول مثل قول ابن المعتز الامير العباسي :

وبدا الهلال كزورق من فضة قد اثقلته حمولة من عنبر

فقال انه لم يأت بشيء، انها صورة من الصور العادية التي يراها في قصره، أترونني أدرج في مثل قصره ولا افوقه .

قال بعض النقاد اني استطيع ان ارد كل شخص الى طبقته من لغته، والى نوع الفن الذي يزاوله .

ذكر ابن منظور في كتابه اخبار ابي نواس ج ١، ان الجاحظ اسمع ابا شعيب القلال وكان بصيراً بالادب، شعراً لابي نواس . فقال هذا شعر لو نقر عليه لطن، فقال الجاحظ تأبى ان تفارق صنعة القلال حتى في الادب .

اذن فلكل كلمة جوها الخاص في شعور النفس واحساس الفكر، وهذا الجو تصطنعه القومية وبيئتها الطبيعية والصناعية وبعبارة اخرى المعنوية ودرجة النشوء والتكيف الحضاري والطبقي فليس في الناحية اللفظية وحدة نقدية وانما يراعى فيها اختلاف

اجواء الالفاظ ، والوحدة النقدية انما تظهر في كليات المعاني فقط ومقدار تفاوت المثل العليا للامم عنها .

وهذه القاعدة النقدية التي تستند على ملاحظة اجواء الالفاظ تفيدنا فائدة خاصة في تفهم طبيعة عصر الاديب وما اجتمع فيه من العوامل ، وبها نتصل بطبيعة عصر ابي نواس مثلاً من ادبه وان كانت وثائق التاريخ عنه نذرة قليلة ، كما تفيدنا فائدة اخرى في نقد الوثائق اذا جاءت مخالفة لاجواء الكلمات التي افرغ فيها العصر روحيته وتناولها الاديب لتنزل في محلها من الاداء .

وأنا لا أسمح لنفسي ان آخذ في بحث يتعلق بالنقد ، وانما أريد ان اصل الى ان هناك علاقة قوية بين اللغة القومية والفكر القومي حتى تجاوز بعض العلماء الالمان فزعموا ان اللغة تتصل بالعنصر وهو اغراق بالغ في الوهم . واما رأيي الذي اجد الشواهد عليه ويمكنني أن أقتنع به ، فهو ان اللغة تتصل بالقومية اتصالا تاماً . فلغة في غير قومها مشوهة لا روحية لها او فيها روحية جديدة من روحية القوم فللفرنسية في الجزائر روحية وتذوق لا يبلغ ادق الاحساس بها عند الافرنسيين على ما لاحظه الدكتور غوستاف لوبون في كتابه اختلال التوازن العالمي ، وكذلك شأن الانكليزية في اميركا فانها انكليزية اللفظ ولكنها اميركانية الروحية ولها تذوقها الخاص .

وبعد هذا أرى الكثيرين يؤمنون معي بمقدار ما يهدد التعريب (اي نقل الالفاظ من لغة الى اخرى) سلامة اللغـة في وحدتها وروحيتها ، فقد عرفنـا ان في الكلمة الواحدة فكراً وخيالا . والتعريب اذا ضمن نقل الفكر فيها فانه يعجز ابداً عن نقل خيالها . ومن المهم ان نلاحظ ان الادب وكل ما يتصل به من انتاج فني يستند الى جانب الخيال في الكلمات . فلغـة تفسح للتعريب في وجودها تضمحل ادبياً وتبور فنياً .

ولغتنا التي نجتهد بعد ادبها اليوم ، تتصل بقوميتنا او هي نقطة ارتكازها . فيجب ان تكون عربية خالصة في كل كلمة في كل اصطلاح ؛ لانها اذا لم تكن كذلك فلن يكون لها ذلك الجو الاخاذ الرائع في خيالنا ، كما انه لن يتألف لنا اسلوب علمي يشير الينا فتذهب كفاءتنا افراداً وجماعات دون ان تترك لها اثراً بارزاً في اللغة .

عبد الله العلايلي

اشهر العلماء

الاستاذ هالدين

◆

من المراكز التي يشغلها الاستاذ ج . ب . س هالدين في الوقت الحاضر مركز استاذ علم الاحصائيات الحيوية بجامعة لندن . وهذا باب من العلم حديث ، لم يسمع به كثير من الناس ، حتى العلماء انفسهم على عظم اهميته . وهو — باختصار — عبارة عن تطبيق العلوم الرياضية العالية على دراسة الكائنات الحية . وانه لمن المدهش حقاً ان نعرف مقدار ما امكن اكتشافه فيما يتعلق بالحياة عن طريق استخدام علم الاحصاء والتفاضل والتكامل ، وقوانين الاحتمالات الحسابية .

ولقد تم تطبيق هذا العلم على الوراثة ، بصفة خاصة ، وكان ذلك ثمرة لجهود الاستاذ هـالدين . اما علم الوراثة فهو الدراسة الفنية لقوانين التربية والوراثة . وقد تخصص به الاستاذ هالدين فاستطاع منذ سنوات عدة ان يكتشف ان المميزات الخاصة بكل كائن حي تتوقف على وجود اجسام دقيقة جداً في الخلايا التناسلية تعرف بـ « الجينات » . والجينات هي الدقائق الاساسية التي يتوقف عليها نمو الجسم واتجاهاته في تطوره . فاحدى الجينات تعطيك عيوناً زرقاء ، واخرى تعطيك ذهناً رياضياً ، وهكذا . . . ويمكننا ان نتصور ان دراسة الحالات المحتملة التي يجوز ان تتبادل بها الاف الجينات عند الابوين هي احدى المشاكل التي تتطلب تطبيق العلوم الرياضية المعقدة .

ولنضرب مثالا آخر على علم الاحصائيات الحيوية . . . فالاستاذ هالدين يقوم الان بابحاث عن دراسة بعض امراض معينة ، كقصر النظر ، ومرض الهيموفيليـا ، وبعض انواع الشلل . وبدراسة تفاصيل مئات الحالات ، وتحليل نتائجها تحليلاً رياضياً ، يمكنه ان يكشف السن التي يظهر فيها هذا المرض ، في شخص تعاني عائلته احدى هذه العلل .

والاستاذ هالدين قد جاوز سن الخدمة في سلك الجندية . في الحرب الحاضرة ، اذ بلغ الخمسين بيد انه يقوم بعمل لا يقل اهمية

وخطورة . ولقد قام حديثاً بابحاث عدة عن التسمم بغاز النيتروجين وانه لموضوع ذو اهمية حيوية في حرب الغواصات ، قام ببحثه بناء على طلب وزارة البحرية البريطانية .

وليس غاز النيتروجين غازاً ساماً في المألوف المعتاد ، والا لمتنا جميعاً ، لانه هو المكون الرئيسي للهواء ، اذ ان اربعة اخماس حجم الهواء عبارة عن غاز النيتروجين . الا ان هذا الغاز يذوب في الدم مسبباً الاختناق ، اذا ما كان الانسان تحت ضغط كبير ، كما يحدث عادة في اعماق البحار .

وفي احدى سلسلة التجارب الحديثة ، التي قام بها الاستاذ هالدين ، وضع نفسه في اسطوانة من الفولاذ يبلغ طولها مترين ونصفاً ، وقطرها متراً مربعاً . ثم حشد فيها الهواء حتى بلغ ضغطه عشرة امثال ضغط الجو العادي . وفي مثل هذا الضغط لا تستطيع اي ذبابه أن تطير ، ويمكن الانسان ان يحس بكثافة الهواء وثقله اذا حرك يديه . ومن الغريب انه كان يسمع صوت عال لشتى مفاصل الاستاذ اثناء حركته ، وذلك لان العظام قد انضغط بعضها على بعض انضغاطاً يبلغ عشرة امثال ما كان عليه من قبل . وكانت لهما ملمس القطيفة ، وبات يتذوق شفتاه طعماً معدنياً لاذعاً في فمه ، نتيجة لغاز النيتروجين المتكاثف . وبعد برهة قصيرة ، طرأت عليه حالة وصفها بانها تغير في الوعي ، فضعفت قدرة ذهنه على التفكير وبدأت تساوره احلام الطفولة ، وميل الى الاعتراف بالذنوب ، واخذت المذاكرت التي كان يدونها تقل في قيمتها ومعناها . فاستنتج ان الذكاء الانساني يقل الى حد كبير جداً ، تحت هذا الضغط واشباهه .

وفي مثل هذه التجارب ، لا بد من تخفيف الضغط تخفيفاً تدريجياً وعلى بطء شديد خلال فترة تطول ساعات عدة ، والا فان غاز النيتروجين المذاب في الدم يندفع منه بصورة فقاعات ، كما تندفع الفقاقيع الغازية من احدى زجاجات المياه المعدنية ، اذ يخفف عنها الضغط فجأة اثر انتزاع سدادتها ، وقد تلحق تلك الفقاعات اضراراً خطيرة في الجسم . وحدث ذات مرة ان ازيل الضغط بسرعة كبيرة فصادف ذلك ان استقرت احدى فقاعات غاز النيتروجين في احدى المراكز العصبية من النخاع الشوكي عند الاستاذ هالدين . فكانت العاقبة ان عانى بسبب ذلك آلاماً شديدة دامت ثلاثة اسابيع على ان شفاءه قد تم الآن .

والاستاذ هالدين رجل شجاع ، طالما خاطر بحياته ، وقد كابد كثيراً من انواع المتاعب فاق بها ما كابده غيره في سبيل العلم ، في العصر الحديث . وانفق جهوداً مشكورة في كتابة الكتب المحببة الى الجمهور يعالج بها كثيراً من المواضيع العلمية . ذلك كله الى جانب ابحاثه النفسية التي يقوم بها .

اما تنبوءات الاستاذ هالدين بشأن المستقبل فهي ذات اهمية كبرى ، والى القارىء بعضاً منها :

(١) ان الانسان سوف يتمكن في المستقبل غير البعيد ان يستخرج غذائه من الخشب والقش .

(٢) سوف نتمكن ، بواسطة الموجات اللاسلكية ، من رؤية الاشياء التي لا تستطيع العين البشرية المجردة ان تراها في الوقت الحاضر .

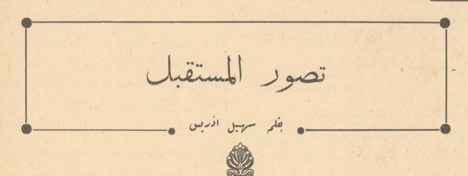
(٣) سوف يأتي وقت نستطيع فيه تنمية اللحم في محاول كيمياني ، كما نستطيع ان نقطع قطعة من اللحم كلما احتجنا اليها

(٤) واخيراً يتنبأ الاستاذ هالدين عن نهاية العالم ، فيتصور ان القمر سوف يقترب من الارض حتى يبدو اكبر من الشمس بخمسة وعشرين ضعفاً . ويتخيل كذلك ، ان القمر سوف يقترب شيئاً فشيئاً بمرور القرون ، محدثاً مداً كبيراً وزلازل عظيمة ، حتى تنفجر من سطحه المواجه للارض ، حمم بركانية تحيط الكرة الارضية بحلة من الاتربة والنيران المشتعلة ، فلا يلبث القمر ان يمحى ، وتدفن الارض ومن عليها تحت الاحجار وضباب الابخرة والادخنة الناتجة عن تناثر اجزاء القمر ...

بيد ان الاستاذ هالدين يسارع الى تعزيتنا ، فيقول ان العلماء سوف يتمكنون – قبل حدوث الفاجعة بلايين السنين – من استعمار الكوكب المسمى فينوس . وذلك بان يربوا نوعاً من البشر يصلحون للسكنى في الكوكب البعيد وعلى هذا فنهاية الارض والقمر لن تكون نهاية الجنس البشري .

وبالطبع ان تنبوءات الاستاذ هالدين ليست الا مجرد ظنون او امور تخيلها ، على انه يقرر امراً آخر يحمل بين طياته قسطاً اوفر من الحقيقة .

فهو يقول : « لو ان البشرية استطاعت ان توسع نطاق ارادتها الحسنة ، كما وسعت نطاقها الفكري فالجنس البشري يستطيع ان يثبت ان مصيره الى الخلود والبقاء . فاما اذا لم يمكن ذلك ، فان هذا العالم الصغير الخاص بالانسان لا بد ان يصير الى نهاية محزنة »



تصور المستقبل

بقلم سهيل ادريس

ليس تصوّر الشيء، امراً غير احيائه في الذهن، واستدعائه الى الذاكرة، ان هو الا التخيل بكلمة واحدة. فتصور الماضي هو احياؤه ثانية بفضل قوة الابتعاث وهو استدعاء حوادثه وصوره ومجاليه، وتخيّل صفحاته وسطوره.

ولن نعرض في هذا البحث العاجل الى المشكلة التي انقسم فيها علماء النفس والفلاسفة الى فريقين: اعني مشكلة الذاكرة وهل هي قابلة لان تستبعث الماضي مع عواطفه وتأثراته، ام ان هذه الاخيرة اذا احست فانما هي عواطف وتأثرات جديدة خلقها الحاضر، واوجدتها الحالة الراهنة. فهذه المشكلة لا تمس بحثنا.

والذي نعرفه ان التخيل هو تذكر الشيء الماضي، فكيف لنا بتصور المستقبل وتخيله؟ سهل علينا كل السهولة ان نعيد في ذهننا الماضي لانه شيء عرفناه، ومررنا به، واثر فينا قليلاً او كثيراً، اما المستقبل فهو الذي سيكون، وكيف لنا بتصور الذي سيكون؟

جوابنا على ذلك ان التصور في هذا المعنى الاخير ليس الا نوعاً من «الخلق»، انما هو عمل المخيلة المبدعة الخالقة، عمل قوة فاعلة مولدة ونستطيع ان نختصر ذلك كله وندرجه في كلمة واحدة هو عمل الاختراع بمعناه الصحيح الواسع. وعلى مقتضى هذا المعنى نستطيع ان نفهم ان نقطة بدء الاختراع العملي الآلي، هي الاختراع التفكيري المحض. وينبغي لنا بعد هذا التعريف ان ندرس تركيب هذا التصور وان نتعرف الى تكوينه وكيفية نشوئه.

والذي يبدو في حكم المقرر الذي لا مشاحة فيه ان تصور المستقبل ليس نتيجة سهلة لتذكر بسيط. وبعبارة اخرى ينبغي ان نسلم ان ذلك التصور مسبوق حتماً بمرحلة طويلة الامد شغلتها قوة عاقلة ومحسوسة. وعلى هذا الاساس ففي وسعنا ان نرفض ذلك الرأي القائل بأن هذا الاختراع متصف وموسوم بسمة الفجاءة او البداهة او البغتة. والذي يؤيد هذا الرفض ويدعمه ان عدة مؤثرات ودوافع تتعامل وتتكاتف لتكوين ذلك التصور، تصور المستقبل. وهذه المؤثرات تتطلب وقتاً ليس بالقصير لتأخذ مكانها في نظر المتصور وعقله. واذن فلسنا نقبل ذلك الرأي لانه يخالف الواقع بله الحقيقة.

ولكي نتعرف الى كيفية تكون التصور يجب علينا ان نعرف ما الذي يستعمله هذا التصور ليتكون تكوناً كاملاً. ولما كنا قد سلمنا بان التخيل يتطلب قوة فعالة للخلق، وان هذه القوة تستعمل معطيات التجربة الماضية، فنستطيع ان ننتهي الى القول ان من الضروري الذي لا غنى عنه ان يستخدم الماضي لتصور المستقبل. وهذا امر لا خلاف فيه، فان كل احد منا يهتم بما فيه ويعتبر به وهو يتصور مستقبله، ونقدر ان نذهب الى ابعد من ذلك فنقول ان هذا التصور مشروط بحالة الماضي: فالماضي هو في الحق قائد في السبيل الى المستقبل وهو دليل امين.

ذلك انه يتيح لنا ان نعرف قوانا، ويسمح ان نطلع على قدرتنا وطاقتنا، كما يتيح لنا ان نكشف عن ضعفنا ونحسر عن عدم استحقاقنا وعدم استئهالنا في الامور التي تعرض لنا. فنحن لن نجرؤ، بل لن نروم اتيان عمل اثبتت لنا التجربة انه غير محمود العواقب، او انه -على الاقل- لا يؤتي الثمرة التي رجوناها اذ اقبلنا عليه، واذن فلن نرتضي ان نتصور هذا العمل نفسه في تكوين المستقبل الذي هو محط رجائنا ومعقد آمالنا، والذي نسعى دوماً الى ان نعمل له ونتخيله لا شائبة تشوبه، ولا نقص يعتريه. وعلى العكس من ذلك، ترانا نردد العمل ونعيد الفعل الذي اثبتت لنا

تجربته انه مفيد وصالح ومؤت الثمرة المرجوة

وهكذا يضحي نبعاً تنزح من مائه لنخلق بحيرة المستقبل . وهو ، الى كونه هذا النبع الذي لا ينضب ، دليل امين ، ومرشد لا يخون .

ولا ريب في ان الماضي عامل واحد في خلق تصور هذا المستقبل وليس هو كل شيء . فلسنا نستطيع الانكار بان للمزاج والجبلة اثراً كبيراً في تركيب هذا التصور الذي نزدد انه يحصل في الحقل العاطفي الشعوري .

فان الشاب المتهدم الجسم ، الضعيف البنية ، اللدن الاعضاء ، لن يتخيل يوماً ما انه سيصبح مصارعاً جباراً ، او ملاكما مقتدراً . هذا من حيث التكوين الجسدي . ولا شك في ان للتكوين العقلي نصيبه من هذا الاثر . فالرجل العامي الذي تستبهم عليه المعاني وتستغلق الافكار البسيطة الهينة ، متيقن كل التيقن انه لن يكون فيما يأتي من ايامه مفكراً متعمقاً او فيلسوفاً متبحراً .

ولا يعزب عن فكرنا الاثر الوراثي ، فان له نصيباً لا يستهان به ، فكثيراً ما يسر ابن معجب بابيه بعض الاعجاب او كله ، بأن يتخيل نفسه كأبيه . واكثر من ذلك كله ، فانه يراه مقوداً الى تقليده ومحاكاته واقتصاص آثاره دون ان يضمر له هذا القدر العظيم من الاعجاب والاكبار . وبوسعنا ان نتحقق نتيجة هذا الاثر الفعلية في تكون الاسر الكاملة التي تمتهن مهنة واحدة ، بل في الشعوب وعلى الاخص القديمة منها . فنحن نعرف اسرة « باخ » الموسيقية العظيمة ، ونعرف انواعاً من الشعوب : الشعب الصياد ، والشعب الراعي ... الخ ... فليس من شك في ان مجرد الوراثة في هذه الانواع من الشعوب يساعد كثيراً على تحقيق تصور المستقبل .

ونومي هنا ايضاً الى عامل التربية ، فهو ايضاً عامل فعال فيما نحن بصدده فالشاب الذي ينشأ على الفضيلة يعز عليه كثيراً ان يتصور نفسه في مستقبله رجل رذيلة وفساد ، والشاب الذي ينشأ بالعكس على مقارفة الشهوات واتباع الاهواء ، يمد لخياله العنان في التخيل الفاسد .

ثم ان الاهل اذا افضوا الى ولدهم برغبتهم في ان يكون بعد طبيباً او محامياً ، لم ينزع هذا الابن تلك الرغبة ذاتها من نفسه .

بيد ان المؤثر الذي يظهر اوضح هذه المؤثرات جميعاً واجلاها هو المؤثر الاجتماعي ، فان كل تصور ينبغي ان يحل اموراً يعرضها المجتمع ، وان يوافق نزعات يبديها هذا المجموع الانساني العظيم . والحق ان ميولنا ونزعاتنا وحاجاتنا ومتمنياتنا مقيدة بالمجتمع الذي نعيش فيه ، ومحاطة من كل جانب بتقاليده وخصائصه . فقلما يتخيل رجل نفسه ملحداً زنديقاً في وسط يدعو ويبشر بالايمان واليقين . والحقيقة ان كل شيء راجع الى نمط المعيشة ، وطراز الحياة . ففي عهد الثورة يرغب كل مواطن في ان يكون جنديا ، ويجعل تحقيق هذا التصور غايته ومطلبه . وكذلك نرى ان كل شاب قرأ مسرحية هيغو « Hernani » على اثر صدورها كان يجد السعادة كلها في ان يتخيل نفسه بطلا رومانطيقياً كبطلها . وفي عهد النبي محمد عليه السلام كان كل مسلم يتحرق شوقاً الى ان يكون شهيداً في معركة من معارك المسلمين حتى ينال اجره ويدخل الجنة

واذن ، فاننا نعلق اهمية كبيرة على اثر المجتمع في تكوين هذا التصور . والاثر الذي يهمنا هنا بنوع خاص هو العامل النفساني (البسيكولوجي) . فان تلك القوة الخالقة ، التي هي التصور المبدع ، هي فعل نفساني قبل كل شيء ، اذ انها تبع للغنى او للفقر الشعوري الباطني ، وان جهود الفكر التي تستهدف تطبيق التجربة او توفيقها مع التصور مقودة بمؤثرات شعورية . ويرى « ريبو Ribot » في هذا « الاختراع او الخلق » — « غريزة حقيقية تشرح طبيعة ونوع هذه القوة المقدورة التي تولد كل قوة خالقة وتسير بها الى كنهها ونهايتها ... »

وهكذا يتجلى لنا ان تعامل جميع هذه المؤثرات يكشف لنا عن تعقد تصور المستقبل الذي يتطلب تفكيراً مستطيلاً وجهداً دائماً . واما فائدة تصور المستقبل فتتلخص في انه محرك للحيوية الفكرية ، ثم هو يستحث الحياة النفسانية كلها فيجعلها في تيقظ مستمر ، وحيوية دائمة ...

سهيل ادريس



الشعرة البيضاء

لفؤاد باشا الخطيب

يا شيبُ ، ليت قتير الشيبِ لم يَبِن … فكيف خنت وشرخ العمر لم يَخُن

وان حَفَفتَ على الفودينِ محتشماً … فقد حففتَ شبابي الغضَّ بالظِّنَنِ

فكيف اخطأت سير الدهر مستبقاً … والوعد بيني وبين الدهر لم يحِنِ

• • •

اصبحت اضحك من نفسي واجحدها … والشيب يجمع لي الضدّين في قَرَنِ

فالعيش ما اسودّ شعري ابيض يَبسِمُ لي … وكلما ابيضّ شعري اسودّ كالدّجُنِ

اَونٌ من الحسن تربدّ الوجوهُ له … فهل سمعت بحُسنٍ ليس بالحسن

• • •

وان شكوتُ فمن بيضاء مسفرةٍ … دبّت الى السرّ فافتضّتهُ بالعلنِ

كانت لياليَّ بيضاً وهي فاحمة … سوداء فانسدلت خيطاً من الكفنِ

وانذرتني اقتراب الحينِ ضاحكةً … وقد قرعت بكفّي الصدر من شجنِ

• • •

فانظر الى « الشعرة البيضاء » انّ لها … رمز الهزيمة والتسليم للزّمن

كأنها « الراية البيضاءُ » يرفعها … في الحرب من لم يُطق صبراً على المحن

• • •

يافاتن بن فلان كم حلت حقب … وازوحق البين اقواماً فلم تبن

أبليتهم من وفود عندهم حُشد … ومن جيادٍ على ابوابهم صُفن

فاستغرق الدهر واسخر منه مغتبطاً … بالعمر تمرح دأب القادح الأرن

• • •

ان الغواني ان يأنسن منك هوىً … شمّرن نحوك عن لهوٍ وعن ددن

وطفن حولك لا يحذرن غائلة … ولا اختتالَ عدوٍ مرهف الاذُن

• • •

وان دعونك عماً تارة وابا … رمين بالقول رمي الساخر اللحن

فخذ بحظ من القربى وان بعدت … وباسمها اغتنم التقبيل واحتضن

• • •

وما يضرك ان يضحكن عن طرب … وان يثبن وثوب الطير في الفنن

وان يقلن ، وقد اصبحت تسلية … لهن ، رفقاً فلولا انت لم نهن

نخرّ بين يدي نجواك من شغف … وتشرئب اليك الحور من عدن

وقد يُظن بان الشيخ مؤتمن … وقد يكون خبيثاً غير مؤتمن

• • •

فان لمحت العيون النجل مجهشة … اليك فامض فقد شبت وغى الفتن

وارشف من الريق علاً شئت او نهلا … فان شرخ الهوى في شيخنا اليفن

وخلّ عربدة اللاهين ممتنعاً … منهم وراء بياض الشيب في جُنن





وقل لمن ذم عهد الشيب مفتتناً … اليك ، انك فـدمٌ ضيق العطن
فكيف يخلع لون الصبح لابسه … وكيف ينضو البياض الحلو من درن
وكيف يعدل عن لون الحمام الى … لون الغراب سليم الـذوق والفطن
وهل احست غصون البان ما حملت … من سبة لانبـلاج النـَور في الغصن

...

مهلاً ففي الشيب من بعد الصبى عظة … ازرت بكل طويل البـاع في اللسن
يدعى الوقـار ولكن تلك تعمية … وانمـا هو وقر الضعف والوهن
ثلج على الرأس لم تترك برودته … حرارة لـك حتى من لظى الحزَن

...

لا تنقل الخطو الا نقل متئد … عجزاً ، وتنطق لم تفصح من اللكن
وترسل اللحظة البلهاء مدنفة … وانت في يقظـةٍ ادنى الى الوسن

...

جررت رجليك في الدنيا فمن غرض … في اثر آخر تطوي العمر في ظعن
كأن كل الذي كابدت من نصب … لضجعـةٍ لك تحت الارض في الدمن
فان بكيت على الايام غابرة … مـلأت صدرك من غيظ ومن احن
وان طمحت ملحاً تستشف غداً … اعيتك ظلمة غيبٍ مسبـل الردن
فاقنع بهدنة دهرٍ قد ظفرت بهـا … فهدنة الدهر مـا انفكت على دخن

...

اني احتجبت عن الخلان قاطبـةً … فلست اسكن في الدنيـا الى سكن
وكم حملت هموم الدهر ثم مضت … كأن ما كان لمـا زال لم يكن
وكم رأيت رقيـع القوم سيدهم … وقـد تبوأ منهم مقعد الوثن
مرأى تنجست الابصـار من نظر … اليـه فاغتسلت بالمدمع الهتن

...

مـا احقر الحي عندي بعد تجربة … وان تبجح عن جهـلٍ وعن أفن
فأسأل به الطلل العظمي منخلعاً … من كسوة اللحم من بـادٍ ومكتمن
هل الشناعة الا فيه جمجمةً … واعظماً تحت ظل المنظر الخشن
وهـل عدت حاله الانبوب متصلاً … من حجرة الطبخ حتى المنصع النتن
يمتاح من تلك ما يلقيه مُنسرباً … في ذاك من طيب افضى الى العفن

...

وكل ما فيه من غـال ومرتخص … من المعادن تزر القدر والثمن
ولو هبطت بهـا الاسواق تنفقها … لـما انقلبت بغير الوكس والغبن
فذره للدود رهن اللحد ممتهنـاً … وان يكن وهو حيٌّ غير ممتهن

...

ولا ازيدك بالانسـان معرفة … وان عشت طليق القيـد والرسن
كشفت عن نظرة الدنيـا اليه فان … تنصفه فاسمع لحكم الروح لا البدن
هنـاك تعلم ما للحي من خطرٍ … وما افاض عليه الله من منن
سمت به الروح فوق الكون قاطبةً … والهمته حقوق الـدين والوطن

فؤاد الخطيب



بشار بن برد

بقلم مارون عبود

مدير الجامعة العربية بعاليه



فن بشار

عاش الشعراء الجاهليون على الانعـام فاحتلت صورها ساحة مخيلتهم واستـأثرت بشعورهم . فكأن الله لم يخلق الفرات ليسقي الفردوس الارضي كما جاء في كتابه المقدس ، بل ليشبه به النابغة ابا قابوسه ربيع الناس .. والاخطل سيده عبد الملك ، خليفة الله الذي يستسقى به المطر . لم يهمس بردى في اذن التغلبي حرفاً ، ولم تومىء اليه (الغوطة) باصبع . فلولا ذلك (الخبر) الذي اتى ابن مروان ما ذكر اسمها شاعر (خفّ القطين) . فالزهور عندقدمائنا محمل وارجوان ، والشقيق اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، والورد والتفاح خد لوناً وطعماً ورائحة . وقطر النـدى لآلىء ، والنجوم درر منثورة على بساط ازرق ، والاعشاب بساط زمرّدي ، وبعض الثمار كرات ذهبية ، والبعض الاخر كرمان ، والحليب كوثر والمياه فضة سائلة الخ ما هنالك من صور جافة . ولا عجب في هذا فخيال الجاهلي خيال طفل كبير .

لم يعجب هذا النحو بشار بن برد فثـار عليه فقال مستهزئاً بزعيمهم امرىء القيس . لم يطل ليلي ولكن لم انم . ثم انحى بسوطه على قفا زهير ، بخوف الاعراب بيوم الحساب فقال :

كيف يبكي لمحبس في طلول من سيفضي لحبس يوم طويل

ان في البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسم دار محيل

فلا يظننّ من ظنّ من دارسي بشار ان بشاراً مؤمن هنـا ، فبشار شيخ الزنادقة وفاتح باب السخرية بالاقدمين للذرية . راز بشار شعر القدماء فاستخفه وجرؤ عليه ، فانكب على خلق صور جديدة من عمل وطن الف ليلة وليلة فهز نفوس الرواة والسامعين بشعر ينطق بصور حياتهم المتحركة ، فاعجب به الاصمعي وفضله على ابن ابي حفصة المحبوس في قفص زهير .

جارى بشار الاقدمين وسأل الطلل مثلهم ولكنه حدثهم بروح بشارية ولغة مولدة فقال :

ابى طلل بالجزع ان يتكلما وماذا عليه لو اجاب متيما

فهو لا يدع ابداً اسلوبه ومنطقه ، يطعّم شجرة الجاهلية بالبراعم العباسية المشرئبة ، ويلقح ذلك الهيكل الهرم بدم جديد ، يقوده في ذلك المعترك الفني ذوق نقدي مرهف يحسن به الانتقـاء والاختيار ، فلا يضع حجراً في بنيانه ما لم يقلبه على جميع وجوهه عارضاً اياه على بركاره وزاويته . أنشد بشار مروان بن ابي حفصة هذا البيت :

واذا قلت لهـا جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم

فقال مروان : جعلني الله فداك ، يا ابا معاذ ، هلا قلت خرست بالصمت . فأجابه بشار : اذن انا في عقلك فضّ الله فاك ! أأتطير على على من احب بالخرس » فانظر الى اي افق من آفاق الفن يذهب بشار ذوقه ونقده .

شعر بشار مديح وهجو وغزل . اما مديحه فنصائح وحض على

الجود ، وايماء الى الجائزة ، وتهديد ان ابطأ الممدوح . واما الهجو فيمد الالهام فيه فن بشار ايما مدد ويغلي مرجل سخطه ، وتبلغ حساسته حد الفوران اذا حرم . واماغزله فمشوق مغر بالفسق والفجور اقض على العلماء الصالحين مضاجعهم فحملوا الخليفة على نهي بشار عنه ففعل .

ادرك بشار الجمال بعين الغريزة العمياء ، فتخيل المرأة مادة غذائية لا غنى عن استهلاكها ، كالسكر والرز ، فقال مستعطفاً عبدة :

نفسي يا عبد ، عني واعلمي — انني يا عبد من لحم ودم

صورة رائعة نادرة خلقتها مخيلة بشار من اتفه المواد وأخسها . رأى نفسه محقونة في زق الجسد ، وخشي ان ينشق ذاك الزق البشاري ان لم ينفس عنه ، فانطلق كل حرف من بيته باستعطاف صارخ بلغ به ذروة الفن الرفيع . تعالى عن العوام وظل بينهم ، وهذا سر فنه وموضع التعجب منه . فحلاوة فن بشار هي في استعارة هذه الصور التي لم يحلم بها القدماء ، وكسوتها بالفاظ مخلية وضعت في مكانها الملائم ، يحوطها الشاعر بهالة فنية شفافة فتبدو كوجه الحسناء من خلال البرقع . وهكذا يجمع شعره صفاء مع قوة ، وموسيقى مع شدة ، فيغذي الذوق والعاطفة معاً . انظر الى هذه الصور التي اخرجها في مدحه خالد بن برمك :

لعمري لقد اجدى علي ابن برمك ،
وما كل من كان الغنى عنده يجدي
حلبت بشعري راحتيه ، فدرتا
سماحا ، كما در السحاب مع الرعد
اذا جئته للحمد اشرق وجهه
اليك ، واعطاك الكرامة بالحمد
له نعم في القوم ، لا يستثيبها
جزاء ، وكيل التاجر المد بالمد
مفيد ومتلاف ، سبيل تراثه ،
اذا ما غدا او راح ، كالجزر والمد
لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ،
ولم ادر ان الجود من كفه يعدي
فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى
افدت ، واعداني فأتلفت ما عندي

وكقوله لآخر :

اورق بخير ترجّى للنوال ، فما
ترجى الثمار ، اذا لم يورق العود

فهذه الصور ، وهذا الاسلوب يغلبان على شعر بشار الذي خاطب الناس بلغتهم ففتنهم ، وارانا انه اقدر الشعراء على تأليف الكلام حقيقة ومجازا . والقرآن الذي جعله العرب ملاك الشعر تتناوله يد بشار متى شاء . تأمل كيف اخرج هذه الفكرة باسلوبه الحي الناصع :

خذي من يدي ما قل ، ان زماننا
شموس ، ومعروف الرجال رقيق

ففي كل مجال عده هذا النفس الفني فيبعد شعره عن اليبوسة والجمود اذ يحفل بالكلمات التي تهيج اعمق لجج الشعور . قال بشار يهجو باهلة :

قد هجاني معشر كلهم — حمق ، دام لهم ذاك الحمق
ليس من شيء ، ولكن غاظهم — شرفي (العارض) قد سد الافق

فانظر كم حمّل كلمة (العارض) من اثقال ، ثم دعمها بقد سد الافق فنهضت بفكرته نهوضاً عجيباً مروّعا قول الاصمعي : ويلي على هذا العبد القن ابن القن . أجل ان بشاراً قن ابن قن ولكنه في فنه ابو الاحرار وشرفه الفني قد طبق الافاق .

فهذه الثورة الفنية الجامحة تلهب نفس بشار في كل غرض من اغراض شعره وخصوصاً متى هجا ، وإن لا يهجو بشار فهو يتفاسف هاجياً ، ويتمنطق هاجياً ويتمذهب هاجياً ويأكل ويشرب هاجياً ، لا يطيب له عيش الا اذا سب واخرج شعره مفزعاً . ان رقة بشار في ألفاظه تلك لا في صوره التي يضخمها ، ففي مخزنه مصنوعات لدنة شفافة واخرى قاسية جافة كقوله : والشمس في خدر امها ، وبنو الموت ، وام المنايا ، وقناديل ابواب السماوات تزهر . ولكل منها موضع وابرعها واشدها بأنيه متى احتاج . واذا رأيته وهو الاعمى ، يتحدث عن النور ويشبه بالسراج ، ويشق العمى بالسيوف فاذكر انه مجوسي النبعة ، وعرق الاصل نزاز .

قال لامرتين حين قرأ مجموعة هيغو (العقاب) : ثلاثة الاف في البغض ، هذا شيء كثير . فما تراه كان يقول لو سمع ابن برد يذكر ان له اثني عشر الف قصيدة ، ابتدأها بهجو آدم ، وختمها بهجو الخليفة الذي يلعب بالدبّوق والصولجان واشياء اخرى .

ولشعر بشار خواص اخرى منها حرارة متقدة تنتشر في كل مقطع ، وسرعة كأنها البرق . اقرأ ارجوزته العجيبة التي مطلعها :

يا طلل الحي بذات الصمد بالله خبر كيف صرت بعدي

فتخال ان صخوراً تتدهور ورعوداً تقصف ، ومدافع رشاشة تنصب قذائفها على الهدف . فشعره يجري كأنهار لبنان فيه جمال وموسيقى يخرجها الشاعر من تزاوج ألفاظ ذات مخارج ملائمة وحروف شديدة غير متنافرة . وفي كل غرض تحس هذه السرعة . اقرأ قصيدته : قد لامني في خليلتي عمر ، تر انه لا يقتفي اثر امرىء القيس كابن ابي ربيعة . بل ترى على قصيدته الطابع البشاري الذي لا يقلد . وحسب بشار تعبيره الناصع واتباع قصيدته خطة مثلى لا دوران فيها ولا لف ، كعنترة وزهير ، ولا تلهى بالالفاظ كالبحتري ، ولا يقلق قارئه بشروحه الباردة كابن الرومي ولا يستغيث مثله بالله ورسوله من مهجوه بل يضربه ضربة تقرض اللحم وتكسر العظم . له في هذه الوغى سلاحان : اما تصوير مضحك كما في قصيدة الشاة ، واما نكتة موجعة كقوله :

كيف لا تحمل الامانة ارض حملت فوقها ابا سفيان

يعضده في هذا العمل الشاق دقة تفكير وحدة شعور وحسن اداء ، كما يطلب بيفون . وزد على ذلك ذكاء عجيباً ، وبديهة وثابة ، وارادة نهاضة لا تقنع بما دون التام .

غارات بشار الفنية

لبشار غارات فنية تصدق قول الاخطل ، الشعراء اسرق من الصاغة . فرغم كل دفاع سلبي يصيب بشار اهدافه ويعود ، كالشنفرى ، والليل اليل . انظر مافعلت يده ببيت النابغة المشهور :

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث ، اي الرجال المهذب

فقد طرق الصائغ الحاذق هذه السبيكة الذهبية ومددها وصيرها اشكالا والفاظاً طريفة تقر له بالاستاذية . قال :

اذا كنت في كل الامور معاتباً
صديقك لا تلقى الذي لا تعاتبه
فعش واحداً ، او صل اخاك فانه
مقارف ذنب تارة ومجانبه
وان انت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت واي الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

لسنا نستدل بهذين النمطين الادبيين على عقلية شاعرين كبيرين بل على عقلية امتين مختلفتين . فعروبة بشار لم تجرده من فارسيته فيفكر تفكيراً عربياً خالصاً . العربي يوجز ، اما بشار فابن عرق منطيقي مطبوع على التبسط والاسهاب . ولكن منطق بشار منطق مجنح يفر في المأزق فلا يعرقل سير الفن ، ولا يسف اسفاف ابن الرومي في بسط الصور وعرضها . والغريب العجيب ان الكلام المنتقى يرك حين يصفه ابن الرومي ، واللفظة المبتذلة تزهو وتسمو في شعر بشار . فكم من عبارة تلوكها الالسن كل ساعة ادخلها بشار في شعره الرصين فما نبت ولا اشتكت غربة . فهو يقول دار البلى ، ومن لحم ودم ، ومحسن ومجمل ، وكم نسمع حتى الساعة من يقول يا محسن يا مجمل . فكأن لدى هذا الرجل اكسيراً فنياً عجيباً يلامس الحجر فيجعله كالذهب الابريز . انظر كيف امسى بيت الفرزدق الاعجر ليناً ناضراً كالغصن الرطيب .

وكنا اذا الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

انها سرقة صيرها ذوق بشار الرفيع حلالا زلالا . اما من يأخذون عن بشار فيقصرون عنه تقصيراً فاضحاً . قال بشار في جارية اسمها رحمة الله :

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا مرة في العمر واحدة ثني ولا تجعليها بيضة الديك
يا رحمة الله حلي في منازلنا حسبي برائحة الفردوس من فيك

فاخذ البيت ابو نواس ليقول :

يا رحمة الله حلي في منازلنا وجاورينا فدتك النفس من جار

فشتان والف شتان بين (رائحة الفردوس) وبين (جاورينا) في ملائمتها لرحمة الله . ناهيك ان فدتك النفس من جار ، من سقط المتاع . ولست محتاجا بعد الى دلك على استدراك بشار الدقيق بقوله غير مختبر ، ولا على بيضة الديك وهي بضاعة بشارية ذات (ماركة مسجلة) . ولا تعجب ان رأيت بشاراً مولعاً بالرائحة فسلاحه من الحواس سمع ولمس وذوق وشم . فالحديث العذب عنده ثمر الجنان ، او قطع الرياض كسين زهراً ، وهو يرى باذنيه واصابعه كقوله مخاطباً سهيلا :

تمركم يا سهيل ، در وهل يط مع في الدر من يدي متعتي
فاجنني يا سهيل ، من ذلك التم ر نواة تكون قرطاً لبنتي

فزاده سهيل تمرأً على ان لا يزيده بشار هجاءاً . وبشار فنان في كل موقف حتى الحديث وله في هذا الباب آيات تثير الضحك وتستدعي التفكير ، وكأن غريزة بشار الفنية واطلاعه الواسع وبصره باللغة اوحت اليه فاقلّ من التشابيه ولم يخرج الصور في قوالبها المعهودة فاستغنى عن كأن والكاف وما اشبههما . والشيخ بشار من كبار علماء الكلام يظهر ذلك من اخذه بيت لبيد القائل :

وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوماً ان ترد الودائع

فطبعه على غراره المعهود مخاطباً خالد بن برمك :

أخالد ، ان الحمد يبقى لاهله جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد
فأطعم وكلْ من عارة مستردة ولا تبقها ، ان العواري للرد

لم يقل وديعة لعلمه ان الودائع لا تمس شرعاً بل تعاد عيناً ، اما العارية فلها دواء اذا هلكت . وزاد بشار (اطعم وكل) موافقة لفنه المولد ، وتحريضاً على الجائزة التي يحلم بها شيخنا دائماً، ويدور معها كعبّاد الشمس . تنبئنا عن ذلك صوره التي اصطفاها وآثرها في مديحه .

يعقوب ، قد ورد العفاة عشية متعرضين لسيبك المنتاب
فسقيتهم وحسبتني كمّونة نبتت لزارعها بغير شراب
تعطي الغزيرة درها واذا ابت كانت ملامتها على الحلاب

وكقوله :

دعاني الى عمر جوده وقول العشيرة بحر خضم
ولولا الذي ذكروا لم اكن لأمدح ريحانــة قبل شم

واخيراً :

كأنما جئتــه ابشره ولم اجيء راغبــاً ومحتلبا

وهذا البيت الاخير من غنائم بشار في احدى غاراته على زهير وكلمة (محتلبا) هي الطابع البشاري الذي لا يقـلد . ولم يسلم الاخطل من غزوات ابي معاذ ولكنه لم يوفق فاسف في خمريته التي مطلعها «يا ابن موسى ، ماذا يقول الامام .» وقصر في تشبيه الزق يسحب على الارض ، فما ابعد قول بشار : وكأن الزق زنجي سرق ، من قول شاعر تغلب .

اناخوا فجروا شاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسربلوا

واذا طلبنا لبشار مثلاً بين شعراء الفرنجة فما نجد غير بودلير . الشاعران يتفقان في الصناعة الفنية ، والاخلاق الصاخبة المعربدة ، والزعامة الادبية ، وفي الثورة على مايقدسه الناس ، وصداقة ابليس وحب العبدة السوداء ، واسخاط الرأي العام واغضاب الحكومة والمجتمع .

واذا كان لا بد من خلاصة لكل بحث فاقول ما يأتي :

١ — يقوم فن بشار على خلق صور حضرية لا صلة لها بالجاهلية يخيط لها من فصيح المولدين ثيابا مغرية ، مفصلة على قدها .

٢ — على السرعة والموسيقى المطردة يتوسل الى ذلك بانتقاء الالفاظ الملائمة وتجنب التقديم والتأخير والجمل الاعتراضية ، وتقسيم اجزاء شعره تقسيما دقيقاً كما ترى في هذا البيت :

اوجيش كجنح الليل يزحف بالحصا وبالشوك والخطي حمر ثعالبه

فالبلاغة العربية لا تعتمد على الحروف الصوتية كما توهم المتمشرق بلاشير ، بل لها موسيقى تجدها في الحروف الساكنة ، والفنان الاصيل يختار منها غير متعمد ما يلائم غرضه ، كما فعـل بشار في البيت السابق . فللغرض الواحد احرف متعـددة عندنا ، تتفاوت ضخامة وصوتا كالطاء والتاء ، والصاد والسين والثاء وهلم جرا .

٣ — يضخم شعر بشار ويشتد حين يحاكي المتقدمين ويظل سهلًا لانه يجتنب الفاظهم الوحشية وطرق تعبيرهم

٤ — لم يخطيء الجاحظ حين احصى ابن برد بين مشاهير خطباء عصره ، فشعره كله مصوغ صياغة خطابية ، وقصائده مهيأة تهيئة منطقية لا تطفيء من حدة العاطفة ولا تمحو شيئاً من سمات الفن

وبعد ، فثورة بشار التي افضنا في الحديث عنها لم تتناول كل ما نطلبــه نحن اليوم ، ولكنه فك اغلالا وحطم قيوداً تحلى بها بعده البحتري وابو تمام فعاد الشعر العربي سيرته الاولى .

اما ابو نواس ، ومنه من يفضله ، فما اراه الا تلميذ بشار النجيب وحسبي البرهان قول الجاحظ : بشار وابو نواس معنــاهما واحد ، والعدة اثنان ، قد يكون ابو نواس اخف ظـلا ، واظرف نكتة وارشق ، اما بشار ففنان لا يضاهى ، والكلمة العامية (شيخ كار) لا تنطبق الا عليه .

مارون عبود — عاليه

أركيلتي

لجبران تويني

أركيلتي (١) تعدّدت صفاتها … واستحكمت من اضامي لذاتها
جليستي في وحدتي ، انيستي … تطرب مني النفس كركراتها
من نسل طهماز (٢) رأت كسرى على … ايوانه ، موزونة دقاتها
يسبح منها القاب في قارورة … تخف في مياهها اناتها
يمتد من صميمه نبريشها (٣) … فتنجلي عن صدرها كرباتها
تتوّجت بالنار فهي علم … تأتمّ ان ضلت به هداتها
فاعجب لها معشوقة غريبة … في الماء والنار انقضت حياتها

***

أخلو من الصبح بها وأغتدي … في نشوة تنعشني قبلاتها
ألثمها ثم أعضّ فمها … حتى تروّي شفتي لهاتها
فتلتقي انفاسنا في لذة … اما نحلت ، اتقدت جمراتها
وأرسل الدخان ترتاح به … نفس عليها ازدحمت علاتها
تفرّج الهموم عنها نفخة … تكثر في سكوتها عظاتها
والنفس تلقى في السكون راحة … اذا الهموم استحكمت حلقاتها

***

قضت عليّ بالتواري (٤) مدة … سياسة تعدّدت لوثاتها
فكنت اقضي الوقت مع اركيلتي … ليَ شكاتي ولها شكاتها
أبثها همي فألقى عندها … روحاً بروحي امتزجت ذراتها
فنتناجى وكلانا صامت … فان نفخت عذبت نغاتها
وان أحدث سكتت راضية … لا تقطع الحديث شقشقاتها
رفيقة مطواعة ، نديمها … في راحة تؤنسه جلساتها
ترقّ ان رق لها جليسها … وان قسا ، لانت وطابت ذاتها
يا ليت كل امرأة تأخذ ما … انطوت على محموده صفاتها
فتسمع الحديث انّ دار ، ولا … تقطعه بالسخف ثرثراتها

***

سيدتي عفواً فاني هازل … والنفس في الهزل لها سقطاتها
اذا بدت اركيلتي لي بهجة … فانت للدنيا ، ولي ، بهجاتها

---

(١) هي تحريف عامي للفظة الفارسية « نارجيلة » وتسمى في مصر « شيشة » مأخوذة عن الاصطلاح التركي ، ويسميها اهل اليمن « مداعة » وفيها يقول شاعرهم :

مداعتي انيستي … جليستي في وحدتي
تقول في كركرها … بالله خذني بالتي . .

(٢) تقول الاسطورة انه مخترع النارجيلة (٣) ويسمى في مصر « ليّ » (٤) اشارة الى الايام التي توارى فيها الناظم عن رجال الامن الذين سعوا الى اعتقاله قبل دخول الحلفاء الى هذه البلاد لسبب سياسي ، فنظم قصيدة الاركيلة فيما نظمه من مقطوعات

السخرة في الادب

بقلم الدكتور نقولا فياض

ألقى علي امس احد الادباء هذا السؤال الذي لم اكن اتوقعه : لقد مضى عليك اكثر من ثلاثين عاماً وانت تكتب وتخطب فما الذي ربحته من ادبك وخطبك ؟ وكأنه ادرك الجواب قبل ان تتحرك به شفتاي فأضاف : هذا موضوع جديد يمكنك ان تتحف به قراء الاديب « السخرة في الادب » ولعلك تفيد الكثير من ناشئة اليوم الذين يتلقاهم هذا السراب الغرار لدى خروجهم من المدرسة فيعلقون عليه من الآمال ما لا تحققه الاعمال .

الادب ، والمقصود به هنا صناعة القلم من نظم ونثر كان ولم يزل الحبيب الاول لكل تلميذ ، وقلما تجد بين الطلاب المنتهين من لم تستهوه عروس الشعر او يستغوه شيطان الكتابة . وكم من الذين هجروا مقاعد الدرس وظلوا على امانتهم لهذا المعشوق وايمانهم به وهم لا يدرون ما يخبأ لهم المستقبل من الخيبة في آمالهم واحلامهم اقول الخيبة لاني لا اعرف اديباً اثرى بادبه . كنت حديث السن وكان ابي يقول لي كلما رآني اقلب في دواوين الشعراء دع عنك هذا يا بني فليس من شاعر على « خميرته طحين » ويردد على مسمعي قول الشاعر :

خص بالمال واليسار اناس   واراني خصصت بالاملاق
انا لا شك من بقية قوم   خلقوا بعد قسمة الارزاق

ولما كبرت حققت الخبر الخبر وعرفت ان للادب اشقياء في كل بلاد ولا اعددهم لكم فهم كثر حسبي ان اذكر كاتباً من ابلغ كتاب العرب وشاعراً من اعظم شعراء الافرنج اليازجي ولامارتين فكلاهما مات فقيراً ، كما ان بلزاك قضى عمره تحت اثقال الديون وكم شكا توماس كارليل من المصاعب التي يتخبط فيها الاديب الفقير في المدن الكبرى فهو مضطر لهمز قريحته واستنزال الوحي عليها ان يظل على اتصال دائم بالانسانية على اختلاف طبقاتها ووسائل ذلك معدومة لديه . واذا وجد بين مشاهير الادباء في انحاء العالم من بسم له الحظ واغتنى فلا بد من اسباب اخرى غير القلم والقرطاس .

ولقد بحثت عن العامل الاساسي في تمنع الثروة على الاديب فوجدته في هذا الخطأ الذي يقع فيه حملة الاقلام بخلطهم بين الرسالة والمهنة ، فالادب كرسالة للتعبير عن الحق والجمال والاحلام النبيلة واشواق النفس العالية لا ينتظر من ورائه ربح مادي . حسب صاحبه ما يقدمه من الخدمة لحاضر الاجيال وآتيها . واما ان يكون وسيلة للاسترزاق فامر يتطلب شروطاً للنجاح ككل مهنة ولا سيما لان الادب من الكماليات . تدخل على بائع العطور فتستقبلك الروائح الذكية المنعشة ويغمرك الشذى العابق في كل ناحية من ارضه وجوه وتود ان لا تبرح مكانك ، ولكن العطر شيء كمالي قد تستغني عنه بينما انت لا تستغني عن الملبس والمطعم وما اليهما من ضروريات الحياة . والادب كالعطر فالاقبال عليه على نسبة الحاجة اليه نعم ان له عشاقاً ولكنهم قلائل وما اكثر الذين يفضلون الغناء على كل شعر ينشد او خطبة تقال او رسالة تقرأ . ما العمل ، كذا خلق العالم فان الاديب يصرف شبابه بين المحابر والدفاتر ويسكب على الورق انوار الحدق ويذيب روحه كالشمعة وقلما تنقشع عن فؤاده ظلمة اليأس وظلمة الفاقة . بينما نجد رجلاً امياً يكاد لا يعرف ان يقرأ او يكتب اسمه ولكن الطبيعة حبته عضلا قويا او صوتاً شجياً فاذا بالثروة تنهال عليه والنجاح يؤاتيه من كل صوب .

ثم هناك سبب آخر في كساد الادب فقد تعود الناس ان لا يقابلوا بالسخاء ما لا يعطيهم مباشرة تلك اللذة التي تشبع النظر والاعصاب فتراهم ينفقون بلا حساب في سبيل المقامرة والرهان والخمرة ، ويصعب عليهم شراء كتاب للمطالعة او حضور حفلة ادبية تقضي عليهم بان يحلوا الكيس . بل اذهب الى ابعد فاقول ان من الاشياء ما هو في الغاية من الاهمية كالصحة مثلاً ومع ذلك ترى المرء يدفع بطيبة خاطر ثمناً باهظاً للملابس التي تعطيه الاناقة او طعامه الذي يشبع نهمه ويماطل الطبيب في دفع اجرته ويحاسب الصيدلي بالبارة على ثمن الدواء .

كثير من الناس يلذ لهم سماع الشعر والخطب ويصدفون عنها كما يصدف المريض عن المعالجة بخلاً وشحاً . هم يقدرون الادب قدره كواسطة للترويح عن النفس بما فيه من اللذة الادبية ولكنهم ما تعودوا بذل المال في سبيله . يدعى الخطباء والشعراء للكلام في الجمعيات والمحافل ويعلم الداعون ان بهجة الحفلة لا تتم الا باستنشاد او يقال ومع ذلك فهم لا يفكرون لحظة بالتعويض على المتكلمين كانما هو امر بسيط عادي . او واجب محتم . واذا رفضت الدعوة قالوا لك كفاك دلالا فالخطاب او القصيدة لا تكلفك عناء ساعة . كذا كان يقول لي فيما مضى بعض مرضاي عند مطالبتهم بالحساب : «وماذا عملت انت؟ وصفت دواء لم يأخذ من وقتك سوى دقائق معدودات . اما الدروس السابقة واللاحقة ، اما التعب الدائم ، اما اخطار العدوى ، اما انشغال البال الذي لا يفارق الطبيب فهذا كله لا حساب له .

ومن غرائب الاتفاق انني عندما كنت اكتب هذه السطور ووصلت الى هذه النقطة قرع جرس التلفون فاذا بدعوة لي للكلام في حفلة عمومية ، ثم قرع الجرس ثانياً وثالثاً ورابعاً . اربع دعوات في يوم واحد وساعة واحدة لاربع حفلات في اربع جهات ، كأنني معها على ميعاد لاستشهد بها في عرض هذا الحديث . وما ذكرت هذا الآن لغاية في النفس فالله يعلم ان عندي اسبابا اخرى تحملني على الاعتذار عن قبول هذه الدعوات ، ولكن لاريكم عن كثب الى اين تبلغ السخرة في الادب .

زارني احدهم منذ ايام يسألني تاريخاً شعريا ينقش على ضريح نسيب له فاعتذرت ودللته على شاعر يلبي طلبه لقاء مبلغ زهيد من المال فبدت على محياه علائم الدهش لانه لم يخطر له يوماً ببال ان للشعر ثمناً قلت له علام الاستغراب يا صاح ، فهذه الاشبار من الارض التي اقمت المدفن عليها وهذه القطعة من البلاط التي تريد ان تخلد فيها اسم من تحب ألم تدفع ثمنها فكيف يصعب عليك ان تعطي الشاعر حقه ؟ والظاهر ان كلامي لم يرضه فانصرف غير شاكر وعرفت بعد ذلك انه اهتدى الى من قبل بالسخرة فنظم له التاريخ بدافع الحياء .

وقد ذكرني هذا الحادث بابيات في الموضوع لصديقي جرجي سعد التاجر المعروف نظمها منذ ثلاثين عاماً وهي :

احب الشعر مدعاة المسرة
ومن يروي على اذني شعره

واني ان اخذت عليه اجرة   بعثت به كما رق النسيم
ولما كان جل النظم سخرة   سئمتك ايها العيش الذميم

لقد طلق جرجي سعد الشعر منذ ذلك الحين فخسره الادب وكان هو من الرابحين .

وخلاصة القول يجب الفصل في الادب بين المهنة والرسالة فمن اراد رسالة فعليه ان يكون قادراً على الاسترزاق من غير شق القصبة . وكم تكون قيمة الادب عظيمة ومنفعته شاملة لو كانت بسطة العيش مضمونة لمن يتعاطاه فيتحرر من قيود المادة وهموم الحياة وشواغلها اليومية لينصرف بكليته الى العمل الجميل . وهنا يجد صديقي الجواب على سؤاله الوارد في صدر هذا المقال ، فاذا كنت لم اربح من ادبي فلأني لم اتخذ الادب مهنة لي بل جعلته على هامش المهنة فكنت طبيباً قبل ان اكون اديباً وكنت احسب ان الثناء وتصفيق الاستحسان غاية ما يمكن الحصول عليه ، ولما حدثتني النفس ان امثل بالطبع كتاباً على نفقتي الخاصة متكلاً في ترويجه على الشهرة وتشجيع الاخوان ووعودهم لم استرجع نصف ما انفقته وذهبت اكثر نسخ الكتاب « هدايا الاحباب » .

واما من ينتحل الادب حرفة للتعيش فقد تحتم عليه ما يتحتم على كل صاحب مهنة من توفير العوامل التي تجلب اليه الناس . ان قصة من قصص الجاسوسية او البوليس مثلاً تفعل في القارىء اكثر من المباحث الفلسفية والاجمالية . فعليه ان يفهم روح معاصريه وقارئيه ويتوخى الاجادة فيما يكتب وينظم ويصون بنات افكاره من الابتذال هاربا من السخرة في الادب . واذا لم يصب النجاح بعد ذلك فله اسوة بالكثير من ارباب الحرف والصناعات . فما كان التوفيق مكتوبا لكل انسان وحسبه انه ادى الواجب عليه فيقول مع الشاعر :

اذا المال عاداني فذنب عشيرتي   وما كان من اعدائي المجد والذكر

نقولا فياض

غدي ...

غدي كأمسي ، صدى همس ، في قرارة نفسي
سمعته قبل ميلادي ، بين جدران حبسي
كأنه كان شيئاً من قرع كأس بكأس
او نزع طيب ونور على زغاريد عرس

●   ●

صلاة ...

لنقولا بنرس

●

يا رب ، اطلقني غنـاءً ، يغمر الدنيا هنـاءَ
او فاستبحني ادمعاً تطفو على الدنيا دماءَ
ضاقت بيَ الدنيا ، فلا تسع الرجاء او العزاء
أأظل في الدنيا قريباً منك ، التمس الفناء
وسواي في الدنيا ، غريب عنك ، يغتنم البقاء

قفل بلا مفتاح

بقلم السيدة وداد سكاكيني

منذ القديم والمرأة في الشرق والغرب متهمة باشاعة الاخبار موصوفة بفضح الاسرار ، وهذه التهمة الغاشمة قد وصمها بها رجل ، هذا الانسان القوي المكين الذي ما زال يتجنى على النساء ليثأر منهن وينال ، فصرن لدى سواد الرجال بعد تلك الوصمة لا يصلحن للسر كاتمات ولا للغيب حافظات ، ولو تتبعنا صحائف التاريخ لتزاحمت امامنا الاحداث الجسام واطلت منها الاسباب ، فرأينا فيها المرأة اكتم للسر وأعلم بمواضعه وأقدر على اخفائه . قال الرجال الذين كتبوا عن « ماتا هاري » انها مثلت بين ايدي القضاة العسكريين في فرنسة ابان الحرب الغابرة بنفس كقلعة الجبل ، فلم يستطع واحد من دهاة التحقيق يومئذ ان يستل منها سراً من الاسرار التي دفنته معها ولو هي باحت بمكنون الضمير لوفرت على الاعداء عديداً من مصايد الدمار ولاغنتهم عن حصون أعدوها لسفك الدماء ، وكانت المرأة من قبلها ذات حفاظ على السر في الملمات والخطوب ، ألم تحفظ جوديت سر قومها وتقتل به هو لوفيرن في ليلة من ليالي الحصار في بيت المقدس ؟ وما بالي أذهب بعيداً ولدينا في تاريخ المآثر النسوية صفحة غراء مشرقة لاسماء بنت الصديق ابي بكر ، فقد أعجل الرسول عليه السلام وصاحبه عن ابتغاء الزاد في طريقهما مهاجرين الى يثرب ، فسارعا الى غار في جبل ثور اخفاء لامرهما وتضليلاً لمن يقفي على اثرهما ، لكي يصدهما عن سبيل الهجرة الى المدينة المنورة فكانت اسماء بنت ابي بكر توافيهما تحت جنح الليل بالزاد والماء وربما استشفت واستيقنت من احاديث الاعداء المتربصين ونيات المتآمرين على رسول الله وصديقه الصديق ، ولقد أحاط بها هؤلاء ذات يوم اذ شبه عليهم امرها ، فسألوها عن ابيها فتجاهلت خبره وكتمت سره ثم ألحوا بالسؤال مهددين ومتوعدين وهي معتصمة بالكتمان حتى لطمها ابو جهل لطمة أليمة طار لها قرطها ، فما جزعت ولا دمعت ، وانما استمدت من الايمان صبراً على هذا الهوان وكانت حاملاً متماً ، فصامدت صمد الجبابرة والمذاويد في وجوه المعتدين المترصدين حفاظاً على سر محمد ...

حين تسأل القلوب اين مكامن الاسرار وآبار الكتمان تردد الجواب أفئدة النساء الحصيفات قائلة : هاهنا في صدورنا الامينة الحصينة ،

فني نوازع الاهواء. كم ذا لقيت الشقاء قلوب بنات حواء اذا آثرن الكتمان ولو من غير أمان ، ولولا العواذل والكاشحون لاستسرت في ثنايا هاتيك الخوافق اخبار وسير وحفظت عهود وذمم ، ولو أحصينا في الناس من اخلف الوعود ونقض العهود وفضح السرائر ومستور الضمائر لوجدنا الرجال اكثر عدداً وابعد اشواطاً من النساء في هذا المضمار ، على ان المرأة لم تسلم في اي عصر من العصور من رجال تندروا عليها واصطنعوها للهمز واللمز في كل نكتة ونهزة ، وقد زعموا ان ألذ الاشياء عند النساء كشف الخفايا ثم اذاعة ما فيها من اسرار واخبار ، وتزيدوا في تهكمهم هذا فقالوا ان المرأة لا تكتم امراً ولا تحفظ سراً الا اذا كان لهذا السر مساس بعمرها... وقد كان لافونتين صاحب الحكايات الحيوانيه ممن عيروا المرأة بفضح الاسرار فركب في شعره اسطورة عنها ، تصور فيها امرأة فضحت زوجها حين ولد بيضة ونسج خياله سيرة رجل كان يباهي بحفاظ زوجته على الاسرار فقال له صاحبه : ان شئت لها ابتلاء وامتحانا فمثلك من يبتليها بهذا السر : أظهر الليلة ما تظهره المرأة وقد جاءها المخاض ثم قل لزوجتك بعد قليل لقد ولدت بيضة... واطلب منها ان تكتم هذه الحادثة وانظر بعدفعلتها ، فقام الرجل بما وصى به صديقه ، اما المرأة فقد ضاق صدرها بهذا الخبر فلم تستطع ان تطويه في أعماقها ، بل حملته الى الجيران ، وسرعان ما شاع في كل مكان ، وهكذا بلغ الرجل في المساء انه ولد مائة بيضة ... وهذه الاسطورة التي وضعها لافونتين شاء فيها التندر على المرأة والسخر منها ، وهو الساطي بفنه القصصي على اديبنا ابن المقفع الذي كان يغلو في نصح الرجل بكتمان الاسرار حتى ادار حواراً بين اربعة ملوك في موضوع السر فقال ملك الصين :- أنا على ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت .

وقال ملك الهند : — عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم تنفعه وان كانت عليه أوبقته .

وقال ملك فارس : — انا اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم اتكلم بها ملكتها .

وقال ملك الروم : — ما ندمت على ما لم اتكلم به قط ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيراً .

لقد أجرى ابن المقفع على لسان ام الاسد مثل هذه المواعظ بقولها : انني لم اجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار في اذاعته الاسرار ... فكان ذكر الرجل في هذا التحذير والموعظة مدعاة لاتهامه هو — كما تتهم المرأة — بكشف الستار عن خطير الاسرار . فكم سر افضى به الرجل وكانت المرأة قد غيبته في مطاوي الخفاء ، ابقاء على سمعة أو سعادة ! أليس في الرجال اصحاب حرف ومهن قد حلفوهم الايمان في سبيل الكتمان ، وما لبثوا ان كشفوا الاسرار الخطيرة من خبايا صدورهم واغوار ضمائرهم طوعاً او كرهاً وكانوا لغيرهم سبب شقاء وعذاب .

ولقد بلا الكبراء والرؤساء في ايامنا وفي ما غبر من الزمان مزايا بعض النساء في الحفاظ والكتمان ، فاتخذوا منهن دون الرجال عيوناً وآذانا ، وجعلوا من بعضهن للسر أمينات وللمهمات حصينات فافحموا المتندرين واسكتوا المستهزئين ، ولو لم يستيقنوا من امانة المرأة وكفايتها لما وكلوا اليها في ايام الحروب اخطر الانباء والرسوم تؤديها كعفريت من الجن ، ولكم دهمتها من جرائها النكبات والاهوال فتقبلتها بالصبر والرضى والسكينة ، وكم تقاذفتها ايدي النوى وانتزعتها من بين اهلها وترامت بها المفازات والامصار ، مستعينة على قضاء الحاجات بالكتمان وكأن لسان حالها ينشد مع المتنبي : وللسر عندي موضع لا يناله نديم ولا يفضي اليه شراب

فذكرني هذا البيت رجالا لا يأتي عليهم العد كانت اسرار الناس واخبارهم ساكنة كامنة في اعماق نفوسهم فلما رشفوا كؤوس الخمرة ودارت بهم نشوة الصبابة وعبث الدعابة ، فضحوا الاسرار المستورة وباحوا بها رخيصة هينة وكانوا هم الظالمين .

لقد افتروا على المرأة فزعموا انها لا تصلح للسر موضعاً ولا للخبر كاتماً ، ولست زاعمة مثلهم او مدعية في مقالي هذا ان كل النساء سواء ، ففيهن الطياشة المهذارة التي لا تطيق السكوت عن كل ما يخطر في بالها او يضطرب في بيتها او يقع في سمعها فكيف باخبار غيرها ؟ كما ان في الرجال النفاجين الذين لا يكتتمون مرة ، بل يباهون بكل صغيرة وكبيرة ، لا تطمئن جنوبهم ولا تقر لهم قرارة على سر حتى يبيحوه طائعين راضين ، فاذا هم اخف احلاماً من العصافير ، ومن عجب ان يرى الرجل المرأة بواحة الاخبار شفافة الاستار وينسى ان الله اختصها بسحر فيه مفاتح الاسرار — وهو الذي القى سلاحه منذ الازل دون سرها الموصد وبابه المرصود حتى قال اساطين الحكمة من الرجال هذا القول المأثور « المرأة سر مغلق » وبحسبي ان اجيب عن الكتامة الرزان من بنات جنسي بقول الشاعر :

والسر عندي في بيت له غَلَقٌ قد ضاع مفتاحه والقفل موجود

وداد سكاكيني — دمشق

حسان اللاهي

بقلم خلدون الكناني
مفتش معارف جبل الدروز

كثير من الناس من عاشوا حياتين : حياة غافلة لاهية تنعم بالنور والزهر والحب ، وتصخب برنة الاوتار وضحك الفرح وعربدة السكر ، ثم انقلبوا الى حياة راشدة رزينة تغذيها الحكمة ويزينها التقى وينيرها النظر الثاقب .

وأشهر الشعراء الذين أساموا عيشتي الهزل والجد ، واللهو والتوبة حسان بن ثابت والفرزدق وأبو العتاهية .

وقد بلغ من تغير حسان في حياته الثانية انه اضحى لا يكاد يذكر في كتب الادب الا لفخره بالاسلام ، ومدحه ورثائه للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين ، وهجائه للكفار المعاندين . اما حياته اللاهية الطويلة التي عاشها قبل الاسلام ، فلم تكن – حتى اليوم – موضوع دراسة موفية .

وهذا امر مستغرب في حياة شاعر أحب الدنيا ، وركض وراء اللذات ، وفاز منها باوفر نصيب

فعسى ان نوفق في هذه الكلمة ، الى تبيان الخطوط الكبرى لتلك الحياة الصاخبة الماجنة .

*

أحب حسان من الحياة هذا الضرب الفخم الذي توفر فيه النعيم والرفاهية ، وتعودته قصور الغساسنة في الشام ، ومقت حياة الهدوء والبساطة التي كان يحياها البدوي في صحرائه ، وحياة النكد والهجاء والخصام التي كان يعيشها مواطنوه في يثرب ، فسارع الى ترك بلده واللحاق باقاربه الغساسنة .

طابت له في الشام عشرة الملوك والامراء وحاشيتهم ، وتأنق في المأكل والمشرب والملبس والصباغ تأنقهم ، وشهد عندهم تلك المجالس التي كانت تفرش بالآس والياسمين وانواع الرياحين ، ويضرب فيها العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب ، ويوقد فيها العود المندى في الشتاء ، ويجعل فيها الثلج في الصيف ، ويجلس فيها للشرب والغناء ومغازلة الحسان .

في هذه المجالس تعرف حسان الى النساء المغريات المنتشيات ، فاجبهن ولذ صحبتهن ، ونقل قلبه بين قلوبهن .

ولعل طول صحبته لاولئك الماجنات المستهويات هو الذي جعله يصور المرأة في شعره ، كأنها متعة من متع اللذة ، وباعث من بواعث السرور ، فيعجبه منها الدل والزينة والجمال الظاهر والحسن الملموس :

فيها العطر والفراش ... ويعلوها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر ... عليها لأندبتها الكلوم
لم تفقها شمس النهار بشيء ... غير ان الشباب ليس يدوم

ولعل طول صحبته لاولئك الماجنات الخليعات هو الذي جعله – ايضاً – لا يقيم على حب واحدة منهن حيناً حتى ينتقل الى غيرها لينعم بفرحة التجديد ولذة التبديل . وكيف يقيم على الود الصادق فتى ألف المجالس التي تدور فيها المدامة ، وتوزع فيها القيان على الندمان ؟ :

ظل حولي قيانه عازفات ... مثل أدم كوانس وعواط
طفن بالكأس بين شرب كرام ... مهدوا حر صالح الاغاط
ساعة ثم قال : هن بداد ... بينكم . غير سمعة الاختلاط

ولقد قيل انه احب شعثاء حباً شديداً مبرحاً ، واكثر من ذكرها ، واتخذ في مخاطبتها لهجة الاخلاص والصدق ، وبلغ من تعلقه بها انه قال يخاطبها :

اني ورب المخيسات وما ... يقطعن من كل سربخ جدد
ماحلت عن خير ما عهدت ولا ... احببت حبي اياك من احد

غير ان الفتى الذى يألف العيشة الماجنة لا يستمتع بملاذها الا اذا دفع ثمنها فضحى بالحب المفرد الثمين الصحيح . وفي الواقع ،

لقد احب حسان غير شعثاء نساء كثيرات، وخاطبهن خطاب الصدق والوجد والبقاء على العهد . قال في (نضير) :

أ نضير ! ما بيني وبينكم … صرم وما احدثت من هجر
وحلفت لا أنساكم ابداً … ما رد طرف العين ذو شفر
وحلفت لا أنسى حديثك ما … ذكر النوي لذاذة الخمر

وقال في ليلى :

فان تك ليلى قد نأتك ديارها … وضنت بحاجات الفؤاد المتيم
فما حبلها بالرث عندي ولا الذي … يغيره نأي وان لم تكلم
ولا ضقت ذرعاً بالهوى اذ ضمنته … ولا كظ صدري بالحديث المكتم

بل لقد بلغ حظ شعثاء منه في نهاية الامر مبلغاً لا تحسدها عليه النساء :

فأنى تلاقيها اذا حل اهلها … بواد يمان من غفار وأسلما
سأهدي لها في كل عام قصيدة … واقعد مكفياً بيثرب مكرما

مجالس الشام الساهرة اللاعبة التي علمت حسان حب المرأة المتبذلة علمته ايضاً حب الخمرة والسمر مع الندمان . بل كان تعلقه بالخمرة أوثق من تعلقه بالنساء وأصدق . فلم تستطع شعثاء على دلها وجمالها ، ان تلهيه عن الخمر وادامة السكر :

تقول شعثاء : لو تفيق من الكأ … س لالفيت مثري العدد
أهوى حديث الندمان في فلق الصبح … وصوت المسامر الغرد

ولم يعد يفضل الراح في عينيه شراب :

اذا ما الأشربات ذكرن يوماً … فهن لطيب الراح الفداء

وقد بلغ من شغفه بالخمر انه كان يرى الحياة بلا سكر كالموت سواء بسواء :

وممسك بصداع الرأس من سكر … ناديته ، وهو مغلوب فغداني
لما صحا وتراخى العيش قلت له : … ان الحياة وان الموت مثلان
فاشرب من الخمر ما آتاك مشربه … واعلم بان : كل عيش صالح فان

وكان يزيده هوى للخمرة انه كان يرى فيها رمزاً لتمدينه ورفعته ، فهو من القوم الذين هم :

من جذم غسان مسترخ حمائلهم … لا يغبقون من المعزى اذا آبوا
كانوا اذا حضروا شيب العقار لهم … وطيف فيهم بأكواس وأكواب

وكان يزيدها حسناً في عينيه انها كانت تحقق له في عالم الوهم والخيال كل الاماني والرغائب التي عجز عن تحقيقها واقع الحياة :

ونشربها فتتركنا ملوكاً … وأسداً ما ينهنها اللقاء

ولع حسان بحياة اللذة والمرح الذي حبب اليه المرأة والخمرة ، هو الذي صرفه عن حياة المسابقة والخصام ، وكره اليه الحرب والهجاء .

فلقد عُرف عن سيفه النبو في المعارك ، وانه ليس له يوم في القتال مشهور ، كما عرف عنه قبل الاسلام صدوف عن الهجاء وفرار منه الى الفخر الذي هو ضرب من الهجو المسالم الوديع . هجاه قيس بن الخطيم بقصيدة طويلة فيها عشرة ابيات موجعة وعيّره بالغياب عن الحروب والنجدات ، وقال له :

اذا المرء لم يُفضل ولم يلق نجدة … مع القوم فليقعد بصغر ويبعد

فرد عليه حسان بقصيدة كلها فخر وليس فيها سوى ثلاثة ابيات من الهجاء .

وكأنه عرف في نفسه العجز عن مصاولة قيس بن الخطيم في هذا الباب : فالتجأ الى الخنساء ، الى هذه الشاعرة التي لم تمتد المهاجاة ، وحرضها على هجو خصمه فأبت عليه كل الاباء .

هذه هي سمات حياة حسان اللاهي ، قبل الاسلام : حب للنعيم والخمرة والنساء ، وكره للهجاء . فلما أسلم وندب نفسه للدفاع عن حومة الدين ، أسدل على ذكرياته الجاهليات حجاب النسيان ، وهجر الغواني والسمار والراح ، وطفق يمدح الدين ويفخر بنصرة سيد المرسلين ، ويهجو الكفار أمر الهجاء ، ويرد اقوالهم المقذعة في وجوههم .

ومع انه كان في حياته الشعرية الجديدة جاداً كل الجد مخلصاً كل الاخلاص ، منصرفاً عن فتنة الدنيا بعد ان عرفها حق العرفان وتبينت له حقارتها ، فلقد كانت ذكرى ايامه الحلوة ، ومتعها الراقصة تظهر في مطالع قصائده واوساطها لماعة كالشمس من خلال السحاب ، مشرقة باسمة كوجوه الاطفال . بل كانت ، في اواخر عمره ، تطغى ، بعض المرات على نفسه ، وتملك عليه تفكيره ، فيحن اليها ويهتز لذكراها ويبكي عليها .

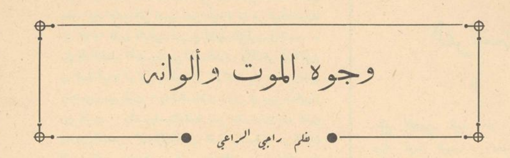
وكان ابنه عبد الرحمن عرف منه هذا الهوى الدفين ، فكان اذا حضر ابوه الفاني الضرير مجلس لهو ، وشق وجوده على فتيان قريش ، طلب عبد الرحمن من القينة ان تغني :

اولاد جفنة حول قبر ابيهم … قبر ابن مارية الكريم المفضل

فيبكي حسان بكاء شديداً ثم ينصرف قائلا : لعمري لقد كرهتم مجلسي سائر اليوم .

وانما كان حسان يبكي الحياة التي احبها وقد انقضت ، واللحظات اللامعات العذاب التي ذهبت الى حيث لا تعود .

خلدون الكناني — السويداء



يتوهم الناس ان الموت لا يكون الا في العينين المغمضتين والقلب الساكن والجثة الهامدة ، اقول انهم يتوهمون ، فالموت اكثر من لون واحد ، ان له الوانـاً عديدة ووجوهاً تطل عليك من غير نافذة القبر . والى جانب هذه اللحود المنثورة هنا وهناك في جميع ساحات الدنيا لحود اخرى لم يحفرها الحفار ولم تبن لها الاحجار ولكنها قائمة في غير هذه الساحات التي نمشي اليها بين الفينة والفينة لندفن موتانا . .

الموت انواع وفي الخلائق موتى وقوف لم تقف حركة قلوبهم غير انهم جثث حية وما اكثر تلك الجثث التي لا يلتف عليهـا رداء التراب . . ما اكثرها في هذا القرن العشرين .

ان الموت كثير وليس لك الا ان تمد يـدك في ظلمة هذا الكون لتقع على ميت يتنفس ويتحرك في لحده .

الجنون عقل مات . . والافلاس موت ادبي . . والمجرم رجل ميّت في نظر الشريعة . . والقلب الذي لايعرف الحب ولا يختلج للحب جثة يحملها الصدر . . والبله شعلة الذكاء انطفأت والاعمى ميت يتأمل . . والاصم رجل توارى عن الدنيا . . والابكم رجل ماتت فيه الكلمة . . والمقعد رجل تجاذبته الحياة والموت واقتسمتاه والجاهل ميت سقط في ساحة العلم . . والحائر المتردد قتيل يسيل الدم من ارادته المطعونة . . ورجل الطمع والجشع قتيل آخر ترثيه الفلسفة والحكمة . . والعانس قتيلة في ساحة الغرام تتضرج بغير دمها الذي خلق للحب . . والعاقر قتيلة في ساحة الامومـة . . والشاب قتيل طيشه ورعونته . . والشيخوخة موت الشباب . . والانتحار موت قبل الموت . . والعليل الذي لا يبرأ يبني لنفسه في كل يوم لحداً ربما يواريه اللحد الاخير . . ومن طال ظمأه وجوعه وعريه مات موتـاً . . والشاعر الحالم الطموح الذي تخذله الحيـاة وتهدم له عروش احلامه هو الميت الاكبر الذي لايعلوه ميت . .

هذا في الخلائق اما ما خرج عنها فما اكثر الموت فيه كأن الحياة والموت يمشيان في كل ساحة من ساحـات الوجود جنباً الى جنب فلا يخطو احدهما خطوة حتى يخطو الآخر مثلها فهما الحليفان الابديان عقدا بينهما ميثاقاً منذ كان النور وقبـل ان انبثق النور ولكن اين عقدا ذلك الميثاق وكيف عقداه وما هو مصيره ؟ ذلك هو السر الاكبر نموت وعلامته على جباهنا . .

دع الخلق وادخل الى اعماق هذه القوة الباطنية التي نحيا بها حياتنا الروحية والجسدية تر من الموت ووجوهه والوانه ما يدهشك ويعييك فهذه عاطفة تحيا على بقايا عاطفة تموت وهذا حلم اقام بروجه العاجية على انقاض الف قصر من قصور الحقيقة والواقع ، وفي اعمق تلك الاعماق ضمير يتنقل في سماء العقل الباطن بين الظلمة والنور فيموت ثم ينهض ثم يموت ، وفي فم تلك الهـاوية القائمة في جميع الغرائز دماء الانسانية التي نحرتها الحيوانية على مذابح الشهوات ، ووراء تلك القمة من قمم النفس هيـكلان من عظـام تعصف فيهما رياح الموت : اليأس والزهد . . والصبر حبل ثخين من حبال الموت يلتف على اعناق اللذة . . والعبقرية تموت في يومها لتحيا في غدها . . والحسد سم ينساب في العروق . . والحقد موت يتكتل ويتحفز للوثوب . . والرقاد شيء من الموت . . والخنوع حفنة من تراب تنهـال على العزة والكرامة . . والكآبة لون من ألوان الموت . . والهذيان سكرة من سكراته . . والحرقة لسان من ناره . . والدمعة قطرة من كأسه . . وفي دمك ورئتيـك وكل جزء من اجزاء آلتك الجسدية عراك بين الموت والحياة مستديم لا ينطفىء اواره . . والطبيعة الماثـلة امامك انظر اليها تر الموت ماثلاً في كل وجه من وجوههـا فهذه الشجرة الشامخة لو لم تدفن

بذورها في الارض لما حمات ثمارها ففي ثمارها الشهية رائحة الترب وهذه المياه الجارية التي تحسبها رمز الحياة ، انها هي ايضاً بدورها من حملة لواء الموت فالينابيع تموت في الانهار التي تموت في البحور ‥ وفي هذا الفضاء الذي يرتد عن آخره الطرف والفكر نجمة تموت في نجمة تحيا وكوكب ينطفىء في كوكب يضيء ‥ والحجر وجه من وجوه الموت ‥ والجبال ملأى بما مات في سبيل تكوينها من البذور ‥ والصحراء جثة قديمة لبحر جف ومات منذ القديم وغروب الشمس وكسوفها وتحجب القمر وخسوفه من الالوان التي ينعكس بها الموت ‥ والرعد زمجرة الموت ، والصاعقة غضبته التي لاغضبة بعدها ‥ والخريف حشرجة الشتاء الذي هو الموت ‥ وما جف من الماء ويبس من الزرع وذبل من الزهر آثار من وقع اقدام الموت السائر في طريقه بخطى لاترحم ‥. والسم والمرارة من لعاب الموت ‥ وفي حد السيف ووثبة النمر وناب الاسد والافعى بروق تلوح في سماء الموت ‥

وللموت انسباؤه وحلفاؤه في الارض واقربهم اليه قاطع الاشجار وحفار القبور والجلاد قاطع الرؤوس والاعناق ‥ وله هواياته وساعاته ولفه ودورانه وهزؤه ووقاحته التي لا مثيل لها فاذا لم يظفر بك في لجة الماء وبين ألسنة اللهيب وعلى حد السيف سطا عليك في ليلة ليلاء وباغتك وانت في فراشك فأخرس قلبك وتركك جثة تتدلى على منحنى الليل الاخير قبيل الفجر ‥

وهو مع الوانه التي لا تعد ولا تحصى لا ترى له لوناً يثبت فيه فبينا هو يواليك صباح يومك اذا به ينقض عليك في المساء فهو هو الخديعة تجسمت فيه وفي الحرب كما هي حالنا اليوم يضم جميع الوانه في اطار واحد ويطير بها من ساحة الى ساحة وهو نشوان فخور ويتفنن وهو فنان الفناء ما شاء له فنه وفناؤه ان يتفنن ‥

تلك هي بعض وجوه الموت والوانه التي خطرت لي الان وله غيرها فساحة الفناء ارحب الساحات ورداء التراب هو اطول رداء ترتديه الدهور وهذه الكائنات السائرة في ظلالها ‥

تلك هي بعض وجوه الموت والوانه ‥ اما معنى الموت فله حديث آخر قد لا اجد له الالفاظ الا في معجم الآخرة اطال الله ما بيننا وبينها ومد ما شاءت له الرحمة في آجالنا ‥ انه الرحيم .

راجي الراعي

الفراشة

◆

خلع الصبح عليها   من سنا الفجر وشاح
ورنا الورد اليها   والخزامى والاقاح

. . .

في جناحيها اثر   من ليال ماضيات
وخيال مبتكر   حافل بالذكريات

. . .

أضرمت في الزهر نيران القبل
وأباحت نشوة بين الثغور
واستحمت في بحيرات الامل
وتغنت بصبابات العصور

. . .

اي سر لا تذيع   بين اضياف الربيع
حسبها عرض الجمال   فوق اكتاف التلال

. . .

حرة مثل النظر   تررع الروض عبر
والعذارى في حماها   يتقلدن حلاها

. . .

عرفت لبنان مذ كان الوجود
واستعارت منه ألوان البهاء
ومضت في الكون تشدو بزهاء
ان في لبنان ألوان الخلود

فيليب م. البستاني

بيروت والبيروتيون

في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ – ١٨٤١

بقلم شفيق طاره

الفصل السابع

ازياء السكان : ملابس الرجال والنساء . معالم الزينة عند الجنسين

في ذلك الزمن كان الجائل في اسواق بيروت يرى الشكل المغربي زياً غالباً في الرجال يلبسون سروالا فضفاضاً فوقه ثوب مشقوق من الرقبة الى الصدر ويتمنطق البعض بمنطقة بيضاء او ملونة او يتحزم بحزام عريض فيه كيس النقود ويرتدون جبة باكمام واسعة او عباءة في فصل الشتاء. وغطاء الرأس عمامة من الشاش بيضاء للمسلم وزرقاء او سوداء لغيره . وكان الفقراء يلبسون اللبدة ، وعمامة الخدم والتجار اقل حجماً من عمامة العلماء ورجال الدين . وكان الطربوش المغربي لرأس بعض الخاصة ورجال الادب . وكان لونه احمر مستديراً له شرابة (طرة) زرقاء امر ابراهيم باشا بلبسه في سنة ١٨٣٨ فلبسه الامير بشير وافراد اسرته وعمَّ بعد ذلك . وكانت اشكال العمائم تختلف بعض الاختلاف فالعمامة التركية اكثر اناقة من غيرها . والبيروتية تمتاز بسعتها والمصرية ذات تلافيف حلزونية مدرجة . وكانت العمامة مدعاة احترام واجلال وقد ذكر المستشرق الانكليزي ادورد وليم لين في كتابه (المصريون المحدثون) المؤلف في النصف الاول من القرن التاسع عشر وتنشره تباعاً مجلة الرسالة المصرية نادرة ساقها كمثال للاحترام الذي كان يكنه اهل ذلك العصر للعمامة . قال : سقط عالم عن حماره في شارع من شوارع القاهرة فتدحرجت عمامته بعيداً عنه فتجمع المارون وجعلوا يجرون وراء العمامة صائحين : ارفعوا تاج الاسلام ارفعوا تاج الاسلام بينما كان العالم المسكين طريح الارض يناديهم مغتاظاً : قبل تاج الاسلام انهضوا شيخ الاسلام ...

اما نساء الطوائف فكن ينهجن نهجاً واحداً في مذاهب العيش والملبس ويتشابهن في كثير من العادات والشمائل وتتألف ملابس نساء الخاصة عادة من سروال فضفاض يشد بتكة حول الوركين وينتهي الى القدمين ويلبس فوقه قميصاً واسع الصدر وفوقه صدرة قصيرة تصل الى تحت الوسط بقليل مشقوقة من الامام ويمنطق الوسط بشال او بمنديل مطرز ويربط في استرخاء ويتدلى طرفاه خلف الظهر ويتدثر بعضهن في الشتاء بمعطف من الجوخ او المخمل او الحرير مطرز بالذهب او بالحرير الملون ويصل الى الركبتين ويتكون غطاء رأسهن من طاقيه من القماش الثمين المزركش تسمى (عصبة) تعلق عليها القطع الذهبية او الفضية ويزين صدورهن بالحلى الذهبية ويتحلين بالاقراط والعقود والاساور . وقليل من يلبسن الجوارب وكن ينتعلن البابوج وهو من الجلد الاحمر المطرز بالفضة ويستعملن قبقابا يعلو عشرة سنتيمترات مطعما بالصدف او بالفضة . اما خارج البيت فكن يتدثرن فوق كل ذلك بدثار كبير فضفاض ويسمى (ملاءة) وهي من قماش ثمين مزركش بالقصب في اعلاها من الداخل رباط يشد حول الرأس . ويستر وجوه المسلمات منديل كثيف وتمتاز ملابس نساء الخاصة بجمال نسيجها واناقة زيها . اما ملابس العوام فكانت بسيطة تتألف من قميص وشنتيان او تنوره فوقها ثوب طويل يصل الى كاحل الرجل وحيث لا يستطاع لبس الحبرة كن يلبسن عوضاً عنها (ازاراً) وهو قطعة بيضاء من القطن على شكل الحبرة ويُلبس مثلها . وتغطي المرأة وجهها بمنديل اسود قاتم او ملون اذا كانت مسلمة . اما الحذاء فهو خف من الجلد يدخل في

بابوج .

وكانت ملابس الاطفال كملابس الوالدين ويلاحظ ان البنات الصغيرات كن يغطين رؤوسهن بمنديل شـاش ابيض يستعملنه (كطرحة) ويرى البيروتيات تغطية الرأس واجبة حتى على الصغيرات وتمتاز ازياء ذلك العصر بانها كثيرة القطع تعوق المشي وتخفي تحتها تقاطيع الجسم فلا يبين من الاطراف شيء .

وكانت البيروتيات يكتحلن ويستعملن لذلك مروداً صغيراً من الخشب او العاج او الفضة دقيق الطرف كليل الحد يغمس في المسحوق الاسود ويمر بين الجفنين . والوعاء الزجاجي الذي يوضع فيه الكحل يسمى (مكحلة) وعادة التكحل كانت شائعة في بلدان الشرق منذ قديم الزمان وهي ظـاهرة في نقوش المعابد والمغاور ورسومها وكثيراً ما اكتشف في مغاور الجبل القديمة مكاحل فيها آثار الكحل ومراوده

وكن يخضبن ايديهن واقدامهن بالحناء فتكتسب اطرافهن لوناً احمر مشربا بالصفرة او زيتونيـاً مشربا بالسواد وكثير منهن يصبغن الاظافر والانامل والاصابع والايدي الى المعصم ويرسمن خطوطاً هندسية باشكال مختلفة والخضاب يكون بسحق اوراق الحناء المجاوبة من مصر وعجنه بالماء ثم تبسط راحة الكف واجزاء اليد وتطلى ثم تلف بخيوط وتربط برباط من الكتان ليلة كاملة . وهذا الخضاب يبقى نحواً من شهر . اما الوشم فلم يستعمله البيروتيون ولا البيروتيات بل كانوا يستدلون من الوشم ان صاحبه قروي او غريب . وكان بعض النساء يعمدن الى نتف الشعر عن خدودهن واطرافهن بمادة من السكر المطبوخ يوضع على الجلد بارداً . اما الشعر فيضفر ضفائر ويضاف الى كل جديلة خيوط من الحرير الاسود يعلق بطرفها قطع ذهبية صغيرة وبعضهن يرفعن الشعر فوق الجبهة وتسمى الغرة او (الشنيور) ويتعطرن بالروائح القوية .

ومن معالم الزينة عند عامة الرجال انهم كانوا يكحلون عيونهم معتقدين استفادة العين من الكحل ويخضبون لحاهم . وللحية عند اهل ذلك العصر القدح المعـلى يتزين بها رجال الدين وبعض اهل العلم ويعدونها مجلبة للهيبة مدعاة للوقار . ولفرط تعظيمهم للحى كانوا يقسمون بها عند مسيس الحاجة وكانت سيدة المنزل اذا رغبت في اكرام ضيف تذر ماء الورد على لحيته . اما الشبان فكانوا يحلقون لحاهم ويستعيضون عنهـا بالشاربين . وكان الشارب في نظرهم زينة وجه الشاب كما ان اللحية زينة وجه الشيخ ويعنون بفتله ويتباهون . ومن علامات الرجولة عندهم انهم كانوا يقولون فلان يقط على شواربه النسر ويعنون ان شاربيه طويلان وانه من الشجعان . ومن طريف ما قرأت عن منزلة اللحى في عهد الصليبيين ما رواه غليوم الصوري عن القائد (بودان دادبس) انه اي القائد لما عجز عن نقد رواتب جنوده لم يجد شيئاً لديه اعز من لحيته فرهنها عند قواده وحينما استحق الدين هم الدائنون بقصها لولا ان تدخل حموه (جبرائيل ده ماليتين) ودفع عنه ديونه وقد اخذ عليه العهد والميثاق ان لا يعود الى مثل هذا العمل الشائن .

ومما حكي ان رجلاً متعبداً كبير اللحية كان شديد العناية بها يخبؤها ليلاً عند نومه في كيس (حذراً من اللصوص) فقام بعض الاتباع المريدين في الليـل وهو نائم فقصها من الاذن الى الاذن فشكا المتعبد ما دهاه الى الشيخ الذي غاظه ذلك فجمع الاتباع وسألهم فقال احدهم : انا قصصتها فقال : ما حملك على هذا ويلك قال : ايها الشيخ انهـا كانت صنمة وكان يعبدها من دون الله فانكرت ذلك بقلبي واردت ان اجعله عبداً لله لا عبداً للحيته .. وحدثني بعضهم انه لما زجت الحكومة في السجن رهطاً من الرجال ذوي اللحى وارادت قص لحاهم اجابها هؤلاء : اذا كنا مجرمين فاقطعوا رؤوسنا ولا تقصوا لحانا .

وحكي عن الامير بشير الشهابي انه كان مرسل اللحية وكان اذا اراد التفكير في امر تخللها باصابعه حتى يهتدي الى ما يريـد وكان اهل لبنان الاقدمون يضفرون شعرات لحاهم بخيوط من الذهب الابريز وكتب الادب عامرة بالنكات والافاكيه التي تدور على اللحى واني لاتجاوز عن ذكرها هنا لئلا يطول الحديث خالياً من الجديد مقتصراً على الحقائق التي دونتها وان في بعض الحقائق ما هو اغرب من تلفيقات الخيال

الفصل الثامن

مياه المدينة – احواض وعيون المياه – الحمامات العمومية – حمام البحر

كانت بيروت تستقي قديماً من مصدرين من آبارهـا التي ينتسب اليها اسمها بيروت وهي لفظة عبرانية مركبـة من كلمتين (بير) و (اوت) أي الآبار الكثيرة او جمع بئر ومن نبع العرعار بين قريتي برمانا وبيت مري وتمر المياه من ضفة النهر الشمالية الى الضفة الجنوبية على قناطر بجوار (الفياضية) تنقل مياه الجبل الى

المدينة ويزعمون انها خربت في الزلزلة التي دهمت بيروت في عهد يستنيان الروماني . وكانت هذه القناطر من اجمل ما صنعه الاقدمون في لبنان من الابنية تجري فيها المياه على قناطر ذات اربعة طبقات مرتكزة بعضها فوق بعض بلغ علوها (٥٠) متراً وطولها (٢٤٠) متراً . والعامة تنسب هذه القناطر للملكة تدمر ولزبيدة زوج هارون الرشيد وسميت قناطر زبيدة ويقال ان الرومان هم الذين شيدوها بنحيت الحجارة الكبيرة ولحموا بينها بالملاط الروماني المتين وكانت المياه الجارية فوقها تنفذ في سرب منقور في الجبل الى ضواحي المدينة فتمر في منعطف تل الاشرفية فوق الطريق الحديدية الحالية حتى تبلغ البلد مارة من مدرسة الحكمة . وقيل ان مقدار الماء الجاري فيها كان يبلغ كل ثانية متراً مكعباً .

اما في العصر الذي اكتب عنه فكانت المدينة تستقي من ماء يقال ان منبعه المحلة المعروفة برأس النبع فيتغلغل في جوف الارض الى محلة الكراويا ثم ينسرب الى المدينة لينتهي في ناحية الدركة وهناك كان يجري في انبوب الى حوض منحوت في الصخر يشرب منه الاهالي ويستقي الوارد والصادر . وقد انقطعت مياه النبع عن الحوض منذ زمن بيد انها ما زالت تسيل في محلة الكراويا الى وقتنا الحاضر . وفضلا عن ذلك فقد كان بين البيوت آبار نبع ومياه جمع واحواض ماء . منها عين قرب باب يعقوب خارج السور وحوض على خطى قليلة من باب يعقوب خارج السور . وحوض آخر في محلة المريسه (المرسى) المعروفة اليوم بمحلة (عين المريسة) وعين التينة في رأس بيروت وغيرها . وكان من عادتهم ان يشيدوا احواضاً يسمى واحدها سبيلا تذكاراً لمتوفى عزيز فيشرب منه عابر السبيل مترحماً على صاحبه . وكانوا ينقشون عليه بعض الكتابات فيكتب المسلمون :

الفاتحة

وجعلنا من الماء كل شيء حي
شيّد هذا السبيل عن روح المرحوم فلان في سنة كذا

وكان في بيروت حمامات عمومية بناها الامير فخر الدين المعني على نسق حمامات دمشق وتهدمت ولم يظل منها في العهد المصري الا حمامان . احدهما (الحمام الصغير) والاخر (الحمام الكبير) والحمام العمومي مقسوم على خلوات كثيرة وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان من احدهما يجري الماء الحار ومن الاخر الماء البارد فيدخل الانسان الخلوة منفرداً لا يشاركه احد الا اذا شاء . وفي زاوية كل خلوة ايضاً حوض آخر كبير للاغتسال ومن عادة صاحب الحمام ان يقدم ثلاث فوط لكل داخل يتزر باحداها عند دخوله وبالاخرى عند خروجه والثالثة ينشف بها بدنه . والحمام في ذلك العصر ملتقى جميع طبقات الناس لان البيوت كانت يومئذ خالية من الحمام وبعض الناس يقصدون الى الحمام العمومي استشفاء من الامراض الجلدية اوللراحة والتسلية . وقد خصص الحمام في النهار للنساء وفي الليل للرجال يجتمع فيه المواطنون على وداد . وكان من عادة النساء على اختلاف الطوائف ان يحملن بعض المآكل والحلوى ويقضين النهار بكامله على صفاء . ويظهر هذا الوئام جلياً في ان لبعض الطاعنين من المسلمين اخواناً في الرضاعة بين المسيحيين المعاصرين . وكان من عادتهن ان يجتمعن في الحمام العمومي قبل العرس باسبوع ويجلبن المغنيات (جوق المغاني) وبعد الاستحمام تلبس العروس افخر الثياب وتجلى في مقصورة الحمام . ولقد افاض الشاعر لامارتين في وصف ما كان يجري يومئذ في حمام بيروت بكتابه (رحلة الى المشرق) .

وكان بعض الرجال عند اشتداد الحر يقصدون الى البحر ويستحمون في موضع المقهى المسمى اليوم (مقهى الحاج داود) القريب من باب السمطية .

الفصل التاسع

المقاهي : اسباب التسلية فيها . شرب القهوة . تدخين الشبق والنارجيلة كراكوز الحكواتي

كان لكل سوق من اسواق بيروت مقهى يسمى باسم سوقه والمقهى حجرة كبيرة بني حول جدرانها دكة فرشها الحصر يجلس عليها وعلى كراسي صغيرة واطيه حلقات من الناس يتناقلون احاديث الانس ويشربون القهوة . وللقهوة عند البيروتيين شأن كبير ولا يعدلون بها شرابا وتصنع على نوعين الواحد محلى والآخر بدون سكر ويسمى قهوة (سادة) او (عقالية) نسبة الى العرب اهل العقال . وكثيراً ما يضعون فيها حب الهال . والنوع الاول يقدم غالباً في البيوت اما الثاني ففي المقاهي والمآتم . يحمل الساقي الاناء (الدلة) او (الركوة) في اليسرى ويقدم فنجاناً من الخزف باليمنى فيأخذ الشارب الفنجان بيمينه فيشربه ويدفعه اليه ويصب فيه

الساقي دفعات حتى يكتفي الشارب . والدفعة رشفة تقل عن ربع الفنجان واخيراً يمسح الساقي الفنجان بقطعة من الكتان ويدور به في حلقات الجالسين .

وفي المقهى كان عوام البيروتيين يرفهون عنهم الشواغل اليومية بتدخين الشبق وكلمة شبق من التركية (شبوق) وهو انبوب رفيع يبلغ طوله عادة اربعة او خمسة اشبار وبعضه اقصر او اطول يصنع غالباً من خشب الكرز وينتهي بمجحر من الآجر وهو موضع التبغ والنار ، بينما الفم في الطرف الآخر ويتألف من قطعتين او اكثر من الكهرمان او غير ذلك من الاحجار الكريمة او المعادن النفيسة اذا كان المدخن من الغواة او من الاغنياء .

ومن عادة المدخن ان يحمل لاستعماله اليومي من التبغ في كيس صغير يحمله في عب قميصه . وكان بعض الاهالي يعيش على صنع الشبق وتنظيفه بخيوط ليفية لان استعماله كان اكثر شيوعاً من النارجيلة المعروفة اليوم والتي كانت يومئذ مختصة بالطبقة الغنية . والنارجيلة كلمة فارسية معناها (ناركيل) اي النار بجوزة هند وزعموا انها وجدت على زمن احد ملوك الفرس القدماء ، وكان هذا الملك مصاب بالفتق يسمع له صوت فاستشار احد اخصائه في الامر فاخترع له النارجيله ليتعاطى شربها في المجالس اخفاء بقرقرتها لصوت مرضه ... ثم انتشرت في مملكته حتى عمت في كل بلدان الشرق الادنى . واستبدلت الجوزة فيما بعد بوعاء زجاجي على شكلها وسميت الشيشه وهي كلمة فارسية ايضاً بمعنى زجاجة .

وكان للتبغ المستعمل يومئذ رائحة زكية ويجلب اكثره من مدينة اللاذقية ولا شك ان استنشاق النارجيلة يضر بالرئة الضعيفة لان المدخن يشرق سم الدخان (النيكوتين) الى رئتيه مثلما يستنشق الهواء النقي . ولعل اكثر امراض الكبد في بلادنا ناشئة عن استعمال هذا النوع من التدخين .

سئل بعض الظرفاء المولعين بالنارجيلة : ماذا يجني المرء من التدخين بها فقال : ثلاث منافع . اولا الكلاب لا تعضه . ثانياً اللصوص لا يسطون على منزله . ثالثاً لا يشيب طول عمره . ثم فسر قوله : ان من اكثر التدخين بها يمرض فيضطر الى حمل العصا (العكاز) وتخاف منه الكلاب فلا تعضه ... ومن اشتداد السعال عليه في الليل يظل ساهراً فلا تجرأ اللصوص على دخول منزله : ولايدرك الشيخوخة لانه يموت في صباه ...

وفي المساء كان رواد المقاهي يتفرجون على خيالات (كراكوز) ورفيقه (عيواظ) المعروفين يومئذ في بلدان الشرق الادنى وشمال افريقيا وبلاد اليونان . وخيمة كراكوز قطعة من القماش الابيض تنصب في ركن المقهى وتنار خلفها شمعة بعد اطفاء السرج ولا يبين حينئذ الا الشاشة البيضاء والخيال الذي يعرضه اللاعب من خلف الستار ويمثل اشخاصاً وحيوانات مختلفة وكان يتحدث بلسان اشخاصه ويتناول مشاكل العصر بالمدح او القدح ويتعرض لبعض الكبراء المعروفين يومئذ بطرف من الدعابة الحلوة ويجعلها حديث السمر . وحينما ينتهي دوره يأتي القصاص او (الحكواتي) فيحدث الحاضرين عن ابطال الحرب وابطال الجود وابطال الغرام فصولا منقولة من سيرة عنتر بن شداد والزير المهلهل وابي زيد الهلالي سلامة ويوقع حديثه — احياناً — في لباقة والطف اداء على الربابة . وكانت هذه القصص محببة الى قلوب الاهالي يتتبعون سماع فصولها بشغف شديد ويتشيعون لاولئك الابطال . فقد ذكروا عن رجل من العامة انه كان شديد الاعجاب بعنتر يحضر كل مساء ليسمع اخباره وحدث ان قدم المقهى على عادته فانتهى القصاص من السيرة الى فصل وقع عنتر فيه اسيراً وانصرف الرجل الى بيته كئيباً حزيناً فسألته زوجته عما به فقال لها : ان « عنتر » بطل الابطال وقع الليلة اسيراً بيد اعدائه فلن يرتاح بالي حتى يطلق سبيله ومضى هزيع من الليل وهو يقظان يفكر بعنتر ويتحسر عليه فجفاه الرقاد وجلس مطرقاً ثم لبس ثيابه وخرج تحت جنح الظلام الى بيت القصاص واطلعه على ما اصابه فقال القصاص : اني اطلق سراح عنتر اذا انقدتني شيئاً من المال . فقبل الرجل وانطلق القصاص يسرد الفصل الثاني والثالث حتى انتهى الى الفصل الرابع الذي فيه تخلص عنتر من الاسر فاطمأن الرجل وعاد مهرولا الى داره ووجهه يطفح بالبشر معتقداً انه بذلك اطلق عنتر من الاسر .

تلك كانت اسباب التسلية والترفيه عن النفس شأن ابن بيروت في ذلك العصر ان يختلف في آخر النهار الى بعض المقاهي ويستمع لحديث القصاص ويتفرج على خيال الظل وينفس عن كربه بالشبق ثم يأوي ليلا الى بيته هادي النفس ناعم البال بعد ان يضع في يد صاحب المقهى نحاستين قيمتها قرشين بعملة هذه الايام .

شفيق طبارة

عابرة

●

انشودةٌ لم تختلج في خاطر الوتر اليتيم
تجتاز عابرةً رفيف الحلم في وجه النعيم
لممت ادهاري العتاق وغصت في الامد القديم
فاذا بوجهك صورةٌ عذراء للقدر الحكيم
والفن انت لديه في غده تهاويل الرسوم

تثبين ، بالبشرية التعبى باثقال الهموم
وترينني الابد المطل بمقلة الازل الوسيم
والله يطلع في الدم المبحوح فجراً ذا وجوم

تمضين راعشة وأمضي في الضباب الى جحيمي
انا هارب بالكون اوهاماً الى كوني الكتوم
انا هارب منه اليه عند وهم مستديم
واذا رأيتك أجفلت عيناي للرسم المقيم

وثنٌ أرى الهدآت في عينيه احلام النجوم
فأغيب في هدرات كأسٍ لم يسلسلها نديمي
شطٌ على صدر الغبوب يموج في كف المديم

علي محمد شلق — صيدا

قصة

صاحب السمك الاعور

بقلم رشاد المغربي دارغوث

◆

كنا نصطاف في عاليه هذه السنة — فلا نجد لنا في هـذا الحي الكبير المقتطع من صميم بيروت سلوى سوى الجلوس قبيل الغروب في المقهى ، نودع الشمس تنحدر الى مأواها وراء العاصمة الغارقة في لجج الضباب ، ثم ننتقل الى الجهة المقابلة نستعرض المارين على الطريق العام ، وخاصةبعض « المارات » في زينتهن الرائعة وعذوبتهن المغرية .

وجئت اليوم على عادتي اكحل الطرف بمرأى هذه الاودية المخضوضرة تقوم بين مقهانا في المصيف ومسرح حياتنا في المدينة كمايقوم المثل الاعلى بين اللهو والجد، يكبح جماح ذلك ويندي وجه هذا ، فلم اجد الرفاق ، وظللت ردحاً من الزمن اناجي الطبيعة في فتنتها وتنوع الوانها وتنافر مظاهرها وظلالها . احاول ان اركز بصري على مشهد بعينه فيتزلج الى آخر حتى يستقر هناك في المدينة ، على مقربة من هذا البحر الذي يغسل اقدامها دون ملل .

ولم يمض غير قليل حتى اقبل ثلاثة اشخاص ، منهم امرأة في مقتبل العمر ، تركت لرفيقيها مهمة انتقاء المكان، وجاءت فوقفت الى جانبي تطل على الوادي الحالم في هدأة العشية وما وراءه . ثم سمعتها تتمتم بكلمات علمت بعدها انها حلبية ، وانها تفد على لبنان المرة الاولى في حياتها .

ولا ادري متى عادت المرأة واقتعدت كرسيها بين رفيقيها ، ولا متى جلست بدوري على اقرب كرسي وجدته ، ولكنني اعلم انني فضلت البقاء حيث كنت ولم انتقل هذه الليـلة الى الشرفة الملاصقة للطريق العام .

وسمعت احدهم يقول :

— «هل رأيت نهر الاردن ؟

فيستدرك الثاني مستبقاً جواب المرأة :

— « نهر الشريعة .. الذي اغتسل في مياهه السيد المسيح . »

وسمعت المرأة تجيب بدورها :

— لا .. ولكنني درست في الكتاب انه يأخذ مياهه من سفوح لبنان الشرقي .. وان هذه الجـداول تتحد شمال بحيرة الحولة لتؤلف النهر المقدس .

فيستأنف الاول قائلاً :

— « والذي يعنيني هو احد هذه الينابيع .. الحاصباني المنسوب الى قرية بهذا الاسم . هذا النهر يا آنستي عجيب حقاً لا بكمية مياهه الضئيلة نسبياً ، ولا في منبعه العادي وانما في نوع من السمك يعيش عند النبع هو من الغرابة بمكان . »

لست ممن يسترقون السمع او النظر . ولكنني اعترف انني تعمدت الاصغاء . هذه المرة ولم يفارق نظري هذه التي حسبتها سيدة لحظة واحدة . في وجهها معنى غريب يزيده اثر (الجدّة) فتنة كما يغريك بمناجاته طرف ناعس يبسم ابداً ولا يعرف معنى الخجل .

وتابع الرجل يتعمد استثارة الاعجاب في سامعيه :

— « سنذهب الى حاصبيا وسترين . هذا النهر ينبع في بقعة لا تتجاوز مساحتها الهكتار الا قليلاً . تتفجر مياهه وسط الحجارة والحصى لتتجمع في شكل بركة قريبة الغور . ثم تسيل وتنصب في مجرى النهر مجتازة بعض الصخور التي تعترض سبيلها بشكل شلالات فتتضاحك الفتاة ساخرة : — كشلالات نياغرا ..

— وفي هذه البركة يعيش ذاك النوع العجيب من السمك . ان الواحدة منه لا تتجاوز طول مابين الابهام والسبابة اذا انفرجتا . وهو اسمر اللون في سواد عند ظهره . واذا امسكت بسمكة وجعلتها بحيث يكون ذنبها اليك رأيت ان ليس لها عين في الجهة اليمنى . او ان تلك العين مطفأة قد حجبها جفنان لم يخفيا شكل الباصرة ولا تكوينها .

فتقول الفتاة :

— « انه سمك اعور !

ويتوقف صاحبنا بهز رأسه هزاً متتابعاً وهو يستطلع اثر اسطورته في نفوس سامعيه . ولما اطمأن الى ما بعثه فيهم تابع حديثه وكانه يلقي فصلاً تمثيلياً :

— « هذه سمكة ! انها تتجه نحو مجرى النهر . التيار يجرفها — على ضعفه — فتكاد تنسكب مع مياهه في المجرى . ولكن لا! انها تقفز من فوق المياه وتعلو في الهواء بحركة بهلوانية ثم تغطس في البركة لتعود فتسبح في عالمها المحدود . اما مجرى النهر نفسه ففيه من الاسماك ما في سواه من الانهار . سمك عادي يضرب لونه الى الحمرة اذا بلغ سنتامعينة ! »

لم تكن دهشة السامعين دون اعجابي بهذه القصة الغريبة يرويها رجل تدل مظاهره على ثقافة شاملة وينم حديثه عن عقل متزن . غير ان الفتاة سبقت الى التساؤل وكأنها قرأت الحيرة في عيني اللتين لم تبرحا غارقتين بين اهدابها المتكسرة :

— « ولكن ! لم لا يكبر هذا السمك ولم هذا العور في احدى عينيه ؟ »

فيتضاحك احد الرجلين مجيباً بلهجة هادئة — لهجة استاذ في الفلسفة عتيق — :

ـ « جواب سؤالك الاول معاد فيه : انه نوع من السمك لا يكبر .. »

ويقاطعه الثاني بسيل من حديثه الفياض ولهجته (المتمصرة) :

— ... او جوابه عند اهل القرية وماجاورها . فهم يصطادون اسماك الحاصباني باستمرار ... يطلقون في البركة اصابع من الديناميت تتفجر وسط مياهها الهادئة لتعكر على اولئك الضعفاء صفو الحياة وتقضي على المئات منهم دفعة واحدة . »

وتقول الفتاة ماجنة :

ـ « انه يكبر في معد البشر ... »

ويضحك الرفيقان بدورهما للنكتة ويخيل الي انا الآخر انني ضحكت كما لم افعل منذ ان باعد جد الحياة بيني وبين مرح الصبا وعبث الفتوة . فهذه الفتاة تشع من حولها ما يستخفك ويبعث في النفس ما لا ادري من نشوة تذهل المرء عما هو فيه .

ويتابع صاحبنا سرد حقائقه بلباقة المحدث البارع :

— « والغريب ان يحدثك اهل الناحية عن سمكهم العجيب بلهجة من لا يرى في الامر كبير غرابة . انهم يعلمون ذلك منذ اجيال ويرون تلك الاسماك منذ شبوا عن السراويل القصيرة .. فهي منهم بمنزلة البحر من سكان السواحل يفقده الجوار روعته في العيون وبهجته في القلوب وعظمته في النفوس . »

ثم بعد وقف قصير تعمده :

— ... هي العادة ! انها تحول بين المرء وبين تذوق الجمال المتكرر فتقصر حياته معنى وان اطالتها حساً .

فخيل الي عندئذ ان وجنتي الفتاة قد اصطبغتا بلون لم اتبينه على نور الكهرباء وراء السحر الذي تنفثه هاتان العينان الخضراوان في فيض من الحنان والعطف على كل شيء .. حتى على هذه المبردات التي حملها غلام المقهى فقطع على الجماعة لذة الاستمتاع بما بعثته (الاسطورة) في نفوسهم من دهشة واعجاب .

غير ان صاحبنا لا يتراجع فعاد يكمل حديثه بين الجرعة والجرعة متلمظاً فعل النهم الغرثان :

— كنا — انا وجماعة — نتساءل عن سر ذلك العور عند بركة النبع منذ عشر سنوات ساعة اقبل رجل وامرأة في سيارة فخمة . انهما يترجلان ويسرعان الى النهر يشربان ويملأ كل منهما قنينة كان يحملها فيحكم سدها . ثم تنحني المرأة وتجمع من قلب المياه حصى تضعها في منديل حريري ناعم وتلتفت الي — وكنت قد اصبحت على مقربة منها اتابع سمكة تحاذي الضفة — وتبتسم بسمة الغريب يحاول الاسترشاد والسؤال عن امر يهمه . ثم تخاطبني بلغتها بعد التحية :

— هل تتكلم الانكليزية ؟

— نعم ... قليلاً .

— اريد علبة من (تنك) فهل اجد في حاصبيا؟

— بالطبع .. ولكن لاي غرض ؟

— لاحفظ فيها هذه الحصى !

الك ان تبتسمي كما ابتسمت انا اذ ذاك وكنت يافعاً او في مطلع الشباب . ولكن ثق ان ما اشعر به الان اذ اذكر هذه

المرأة التقية المؤمنة حتى بالحجر يعيد الى نفسي شيئاً من الطمأنينة كلما رأيت الناس ينغمسون في المادة حتى اعناقهم !

وكان علي ان ابدأ الحديث هذه المرة :

— هل رأيت يا آنسة — وكانت حديثة السن عذبة عذوبة اختصت بها الامريكيات — هذا السمك الذي له عين واحدة (ولم اجد لفظة اعور بالانجليزية) ؟

— انه اعور ! صحيح ؟

وانحنت تمعن النظر في سمكة عابرة، ثم نادت بصوت المأخوذ :

— بابا ! تعال وانظر ! سمك اعور !

ويقبل الاب يهتز شوقاً الى رؤية هذه الاعجوبة ... ويكب مثلنا على الماء يحدق النظر ثم يقول ببرودة معهودة : — حقاً انه اعور !

ويسير متأبطاً ذراع ابنته بعد ان تعارفنا وقدم الي بطاقته كما قدمت اليه بطاقتي ... وتحدثنا عن (دارون) ونظريته في التطور

كان ذلك عام ١٩٢٦ . ومنذ ذلك الحين ما برح السمك الاعور والآنسة د . ل . م . س . الاميركية في مخيلتي . حتى كان الاسبوع المنصرم فحمل الى البريد كتاباً فتحته فاذا به منها . تكتب الي لتذكرني بالسمك الاعور وبنفسها وابيها وتقول :

— « ... وكان قبيل وفاته يتحدث عن بلادكم المقدسة الجميلة .. وعن السمك الاعور . وقد اوصاني بان اعود مرة ثانية .. وحدي اذا فاجأه الموت واحمل معي بضع سمكات منه ...

« سأزور فلسطين في الربيع القادم وارجو ان اتابع سيري الى لبنان والى منابع النهر المقدس ... وان اراك ! »

لم يصل صاحبنا الى هذا الحد حتى غمر الحلقة الصغيرة جو من الاضطراب وغاصت في عيني الفتاة تلك الشعلة الاخاذة وعدت بدوري استمع الى جلبة الناس في الجهة المقابلة . فما وسعني الا ان اقوم الى مجلسي المعتاد استعرض من يمر في شارع القصبة الاوحد فلا ارى سوى تينك العينين الخضراوين على الرغم من ازدحام الطريق بالآف المتنزهات والمتنزهين ازدحاماً يخيل اليك معه ان بيروت باسرها قد انتقلت في هذه الليلة الخانقة الى هذا الحي الصاخب الماجن .

ولقد رأيت الفتاة بعد ذلك وحيدة مرات متعددة ولكنني لم ار فيها سوى ما اثارته في نفسها نهاية حديث صاحبنا ... صاحب السمك الاعور !

رشاد المغربي دارغوث

سمراء

◆

سمراء !! يا أملي الجريح على فم الصبح الجريح
يا بسمة العيش الكئيب على محياه الشحيح
طلي على دنياي بالقسمات باسمة وبوحي
واستنزفي الآهات من قلبي تذيب ومن جروحي

•

سمراء !! يا أملي البعيد على غدي الدامي البعيد
في خصرك المعتل آيات الجمال فلا تزيدي
دنيا من الاحلام احضنها من النظر الشريد
واحس آلام الدهور بمزلق بين النهود

•

سمراء !! يا زهو الشباب وروعة الحب الطليق
دنياك عابقة المنى بالبوح، بالذكرى — افيقي
ذكراك تملأ جانحيّ وخطوتي ضلت طريقي
فأهيم أعثر — والرجاء يفر من قلبي الرقيق

محمود عبسي — حمص

الادب العربي في ما عليه (١)

التكلف . الافراط في السجع . تراحم الجناس . نبذة للكاتب الفرنسوي فنيلون في الذوق الادبي

بقلم ادوار مرقص
عضو المجمع العلمي العربي

◆

من مطاعن الادب العربي اجمالا التكلف والافراط في السجع وفي الجناس والغلو اي الافراط في المبالغة، وطول المقدمات والاستطرادات . ونظم قواعد العلوم شعراً ، والاقذاع في الهجاء اي الافحاش فيه ، وبذاءة التعبير خارج باب الهجاء ، والافراط في المدح ، وتصدير قصائد المدح والتهنئة بالغزل والنسيب والتشبيب ، وتحويل الخصومة الادبية او المناظرة الادبية الى عداوة صريحة ، ووعورة التركيب . وقد خصصت الفصل الحاضر بالعيوب الثلاثة الاولى اي التكلف والافراط في السجع وتراحم الجناس لانها اوضحها اثراً واعظمها مزلقة لاقلام الادباء . واما سائر العيوب والمطاعن فقد تناولنا ابحاثها في فصول اخرى .

فمن التكلف عن طريق الغلو قول المتنبي :

وشكيتي فقد السقام لانه ... قد كان لما كان لي اعضاء

ومن التكلف قوله ايضاً :

لم تحك نائلك السحاب وانما ... حمت به فصبيبها الرحضاء

الرحضاء هي عرق المحموم . خاطب الشاعر ممدوحه قائلًا : ان السحاب لم تحك كرمك حين هطولها بل اصابها الحسد لتقصيرها عنه فامرضها واعترتها الحمى وما الماء الذي تسح به الا عرق الحمى . — فتأمل هذا التكلف البارد وهذا الاغراب المضحك . ان البيت يدل على دقة تفكير وعلى فساد ذوق معاً . ومن هذا القبيل قول ابرهيم بن سهل الاشبيلي واصفاً جمال محبوبه :

يمثل لي نهج الصراط بوعده ... فتى جنة الفردوس في طي برده
تغص بمرآه النجوم وربما ... تموت غصون البان غماً بقده

واعيد هنا بشأن هذين البيتين ما قلته في بحث ادبي لي قديم :

« ان كل هذا العناء بتمثيل صراط يوم الدين في وعد مخلوق آدمي واشتمال ثيابه على جنة الفردوس تحتها وغصة النجوم حين تراه لحسدها اياه وموت غصون البان غماً حين ترى اعتدال قوامه لا يفعل شيئاً في نفس الاديب الناضج لظهور الكلفة عليه واستصعاب الذهن ان يتصور له صورة حسية . هذا مع ان ناظم البيتين اشتهر بالرقة والسلاسة . » واين قوله المستثقل هذا من رشاقته وكياسته في قوله :

يا شرك الالباب كن مجملاً ... واستحي من منظرك الاجمل
اخشى عليك العار من قولهم ... معتدل القامة لم يعدل

ومن التكلف التلاعب في الالفاظ عن طريق المجانسات والطباقات ونحوها . وقد يجيء التكلف دليل مهارة في الصنعة ولا يكون لفظه مستثقلا فليس من الحق حينئذ ان يحسب قبيحاً وان لم يثر نفساً ويرهف حساً بل يعد في مثل هذه الحالة مقبولا او محتملًا . ومن امثلة ذلك ما قاله ابو القاسم الحريري صاحب المقامات المشهورة :

واحوى حوى رقي برقة ثغره ... وغادرني الف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وانني ... لفي اسره مذ حاز قلبي بأسره
اصدق منه الزور خوف ازوراره ... وارضى استماع الهجر خيفة هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما ... اجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة ... واحفظ قلبي وهو حافظ سره
واعجب ما فيه التباهي بعجبه ... واكبره عن ان أفوه بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره ... ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى ... عليّ وغيري يجتني رشف ثغره
ولولا تثنيه ثنيت اعنتي ... بداراً الى من اجتلي نور بدره
واني على تصريف امري وامره ... ارى المر حلواً في انقيادي لامره

فلو اقتصر على بيت او بيتين على هذا النمط لكان الامر اقرب الى القبول لا يدعو القارىء الى السآمة والى التهكم على الناظم شعراً بان الصناعة اللفظية وحدها دعته الى ما قال لا عاطفة حب صحيحة . وعلى كل حال فهذه الابيات وامثالها خير مما كان فيه مع التكلف خشونة لفظ وعسر نطق كقول المتنبي :

(١) كان الكاتب منذ بضع سنوات قد وضع ونشر رسالة عنوانها : « الادب العربي في ما له وفي ما عليه » وبعد نفاد نسخها نشط على ان يولي الموضوع ما يستحقه من العناية واشباع البحث وتوسيع نطاقه فضم الى ما كتبه نحو اربعة اضعافه حتى اصبح كتاباً مبسوطاً وهو اليوم من مخطوطات المؤلف . ومن هذا الكتاب اخذ الفصل الحاضر لقراء مجلة الاديب .

فقلقلت بالشوق الذي قلقل الحشى ... قلاقل عيس كلهن قلاقل

ومن التكلف المتراحم غير المستحب ما قاله كاتب هذا المقال في احد مطالعه باوائل نشأته الادبية :

وظبي اباه الغمر حباً فأمه ... ايا ابن الهوى اذ خاله الحسن عمه

اي : ورب غزال رفض الغافل ان يتخذه حبيباً فاقصده يا صاحب الهوى لان شامته السوداء احاط الحسن بها . ولكن ناظم هذا البيت كان تكلفه في التلاعب باللفظ سهل المأخذ مغتفراً وربما استحلاه كثيرون عند قوله في ختام قصيدة نسيب له قديمة :

تيقنتم اني اوحد حبكم ... فلم تصلوا قطعاً وشاة وحسداً
فواعجباً من مسلمي القلب للجوى ... يعدون صباً عيسوياً موحدا

ومن قبيح ما رجز به احد الشعراء في اثناء وصفه لباز من بزاة الصيد وقد اراد الاستطراد من ذلك الى ذكر ممدوحه جعفر :

منقاره جيم اذا ما صورا ... يقول فيها من بحذق فكرا
لو لحقتها العين مع فاء ورا ... فاتصلت بالجيم صارت جعفرا

ولا نظن من اهل الحذق العظيم والفكر الدقيق من يعلم ان الجيم اذا تبعتها العين والفاء والراء تألف منها « جعفر » وابرد من هذه الفلسفة تحكم الناظم فلماذا يطالب الناس ان يسوقوا الجيم الى اسم جعفر مع امكان سوقها الى كل لفظة مصدرة بالجيم بحيث يتسنى الحصول على جمل او جوعان او جرب او جنون الخ .

وانما يقبل هذا النمط ويستحسن في مقام الهزل والفكاهة لا في مقام الجد . ومن ذلك ان صاحب هذا البحث قال ذات يوم على سبيل المداعبة والتهكم ملغزاً باسم صديق :

اصديق اني ملغز بك فاجتهد ... في حل لغزي فهو امر خاف
ما اسم رباعي به صاد فدا ... ل ثم ياء تنتهي بالقاف

وبما ان الشيء بالشيء يذكر نقول ان سخافة القول قد تكون على طريق تكلف الجناس كما تقدم ايراده وقد تكون السخافة على غير هذه الطريق بذكر ما لا طائل تحته فهو من قبيل تحصيل الحاصل كقول بعضهم :

الليل ليل والنهار نهار ... والارض فيها الماء والاشجار

وقول الآخر :

كأننا والماء من حولنا ... قوم جلوس حولهم ماء

*

ومن التكلف الافراط في السجع وهو اوضح واشيع من ان يحتاج الى تمثيل اذ لم يكد ينجو منه كاتب كبير او صغير من ادباء المولدين . ولا شك ان كثيرين منهم اجادوه فجاؤوا به راسخاً في موضعه غير متزعزع . واحكامهم له على هذه الصورة خفف سآمة القارىء منه ولكنه لم يزلها . لان القطعة الطويلة من الكلام اذا سجعت جملها كلها احس لها السامع ببعض الثقل وود لو تستريح اذنه من قسم فيها الى الكلام المرسل، هذا ولو جاء سجعها حسناً فصيحاً . واما اذا كان ركيكاً فهناك البلاء الذي لا يطاق اذا كان من نمط مخاطبة ذلك السيد لخادمه :« من بالباب . ايها المهاب »

ان السجع الطيب في ادبنا العربي كثير . واكثر منه السجع المتوسط الحسن . وللسجع القبيح في كتبنا زوايا غير قليلة . واذا اسرف الكاتب في السجع اتعب الاذن والذهن ولو جاء به حسناً رشيقاً وهكذا كان شأن من وصلت الينا آثارهم من جماعة من فحول منشئينا كالوزير المهلبي والصاحب بن عباد وابي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني والصابي وابن العميد والحريري واضرابهم . واذا كانت مقدرة الكاتب المسجع دون طبقة هؤلاء ـ وابناء طبقتهم قليلون جداً في كل عصر ـ وجد القارىء المتوسط الفهم كثيراً من فقره جاءت حشواً او لغواً اذ ساقها السجع ان تكون مرادفات لما قبلها بحيث يستغنى عنها . وهذه الزيادة تناقض البلاغة ويسميها البيانيون اسهابا . وطالما عهدنا الزيادات في امور كثيرة انقلبت الى نقائص .

ومن السجع الطيب الخفيف الظل الممتلىء حلاوة وطلاوة ما قاله بديع الزمان الهمذاني في ذم احد القضاة :

« يا للدجال وابن الدجال . ولي القضاء من لا يملك من آلته غير السبال . ولا يعرف من ادواته غير الاعتزال . ولا من احكامه الا الاستحلال . ولا يحسن من الفقه غير جمع المال . ولا يتقن من الفرائض الا قلة الاحتفال . ولا يدرس من ابواب الجدال . الا قبيح الفعال وزور المقال . ذاك ابو بكر القاضي اضاعه الله كما اضاع امانته . وخان خزائنه (الى ان قال) . ايكفي ان يصبح المرء بين الزق والعود . ويمسي بين موجبات الحدود . حتى يكمل شبابه . وتشيب اترابه . ثم يلبس دنيته . ليخلع دينيته . او يسوي طيلسانه . ليحرف يده ولسانه . ويقصر سباله . ليطيل حباله . ويبدي شقاشقه . ليستر مخارقه . ويبيض لحيته ليسود صفحته . ويظهر ورعه . ليخفي طمعه . ويغشى محرابه . ليملأ جرابه . ويكثر دعاءه . ليحشو وعاءه . لا شاهد عنده اعدل من السلة والجام . يدلي بهما الى الحكام . ولا مزكي لديه اصدق من الصفر . التي ترقص على الظفر . ولا وثيقة احب اليه من غمزات الخصوم . على الكيس المختوم . ولا حكومة ابغض اليه من حكومة المجلس . ولا خصومة اوحش لديه من خصومة المفلس . وما ظنك بقوم يحملون الامانة على متونهم . ويأكلون النار في

بطونهم » .

فمن وثق من نفسه بمثل هذه البراعة في التقفية فلا بأس من ان يستخدمها في شيء من منثوره . ولكن المولدين اولعوا بالسجع الى حد صاروا يعدون غيابه دليل عجز وتقصير ولو في تسمية كتاب او فصل من كتاب وتسمية قصيدة او خطاب او نبذة قصيرة . وهذا الاصطلاح في التسمية لا يزال اكثرنا يجري عليه في عصرنا الحاضر مع ان التخلص من اسره اجدر بنا وادل على قوة التمييز فينا ومن ثم بتنا نرى بين اسماء الكتب : ـ طيب العرف . في علم الصرف ـ عقود الجمان . في المعاني والبيان ـ ضوء المشرق . في علم المنطق ـ كشف الحجاب . في علم الحساب ـ قطف الزهور في تاريخ الدهور ـ الخ .

ومما سمعت به ان رجلاً من ابناء عصرنا وقد انتقل الى رحمة ربه كان يعد نفسه من المطلعين على اللغة العربية وعلومها حتى همّ بتأليف كتاب في النحو . فهاتوا حدسكم في التسمية المسجعة التي اختارها له .. سماه : « الكتاب المنتقط . في علم النحو فقط » ونحن نجيز التسمية المسجعة بمثلها قائلين : الدهر لم يرتكب الغلط . باخفاء كتاب من هذا النمط » .

وادعى الى الغرابة مما ذكر ان رجلاً اراد ان يؤبن صديقاً له اسمه فليمن . وكان المؤبن ضعيفاً حتى في محادثة اعتيادية فضلاً عن الخطابة . وكل ما يعلمه ان التقفية شرط واجب اداؤه على كل خطيب وكاتب . فقام في الحشد وقال :

« ايها السادة . واأسفاه مات الكريم الفاضل صديقنا فليمن . نعم نعم مات حبيب قلوبنا فليمن ... ابجد هوز حطي كلمن »

ثم نزل عن المنبر وقد اصاب واظهر خفة روح بسرعة هربه . فلو صعد الى فقرة ثالثة في تأبينه البليغ لهرب المنبر منه . ويقال ـ والتبعة على من سمع وروى ـ ان الخطيب لما عاد الى مجلسه بين القوم سأله احدهم : ما بالك اختصرت التأبين كل هذا الاختصار . فاجابه شامخاً بانفه : خير الكلام ما قلّ ودلّ ولم يملّ .

وادهى من هذا ان رجلاً من ادعياء الادب كان يمتدح ويقول انه سريع الخاطر في كل قافية ارادها او اريدت منه ولو كانت صعبة مستعصية . فقال له بعض خلانه ذات يوم : هات لنا شيئاً من القوافي على حرف الثاء . ففكر هنيهة ثم قال : « لم ازل على فعل الخير حثاثاً . وناقتي ترعى من البيداء قيصوماً وجثجاثاً ثم ارتج عليه وتوقف فتضاحكوا وقالوا له : زدنا من هذه القافية . فقال : « وام عمرو طالق ثلاثاً » يريد بام عمرو امرأته فطلقت منه . واقبل اهله واهلها يلومونه ويقولون له : « ما ذنبها اليك وكانت ساعة طلقتها تخدم بيتك وتنظفه وتطبخ طعاماً لك ولاولادك . فاجابهم : « بل الذنب ذنبها لا ذنبي فلماذا استهدفت للخطر ووقفت في وجه قافيتي » .

واما تزاحم الجناس والتكلف فيه فهو ايضاً كثير في آثارنا الادبية فليس من الحسن ان يقال مثلاً :

امالك عن صدّ امالك عن صد لظلمك ظلما منك ميل لعطفة

هذا البيت يشتمل على تقديم وتأخير في غير مواضعهما مما جعله وعراً معقدا . كل ذلك اكراماً لخاطر المجانسة بين « امالك » اي ليس لك . و « امالك » من الفعل امال . وبين صد بتشديد الدال وصد بتنوين الدال غير مشددة ومعناها عطشان . وبين ظلم بفتح الظاء ومعناه ريق وظلم بضم الظاء وهو نقيض العدل . وحمل البيت نثراً على وجه صحيح يكون هكذا : « اما لك ميل عن صد محب ظلمته وهو صد لظلمك اي متعطش لريقك » وازيدكم علما ان البيت لرجل عظيم من اشعر شعرائنا واقدرهم في صناعة الكلام وحسن سبكه واعجبهم توفيقاً في انواع البديع ولا سيما الجناس بانواعه والطباق . اريد به عمر بن الفارض . ولكن افراطه في هذه الانواع قد يخونه فيه التوفيق ويلجؤه الى ما نذكره . هذا شأنه في افراطه فما القول في من دونه من الادباء اذا استرسلوا الى مثل هذه الزخارف اللفظية . واين موقع الجناس في البيت المذكور من حسن موقعه وموقع الطباق والتعديد في الابيات التالية لابن الفارض نفسه من قصيدته التائية الكبرى المسماة نظم السلوك حيث قال :

وقالوا جرت حمراً دموعك قلت من
امور جرت في جانب الشوق قلّت
نحرت لغيف الطيف في جفني الكرى
قرى فجرى دمعي دماً فوق وجنتي

ومنها قوله :

وابعدني عن اربعي بعد اربع شبابي وعقلي وارتياحي وصحتي
فلي بعد اوطاني سكون الى الفلا وبالوحش انسي اذ من الانس وحشتي

ومن النكات المروية بشأن الجناس ان اميراً كان شديد الولوع به ففكر ذات يوم انه يمكن ايراد جناس تام بين قم فعل امر من قام وقم اسم بلدة تابعة لامارته وهي من اعمال فارس فعزل قاضيها كاتباً اليه : « ايها القاضي بقم . قد عزلناك فقم . » فقال القاضي : والله ما عزلني الا محبة الامير للتجنيس والقافية . فليتأمل القارئ تكلفاً في القول يعزل قاضياً فاضلاً من منصبه ويطلق امرأة

بريئة من بعلها . وروى بعضهم ان عاذل القاضي في هـذه الحادثة هو ذو الوزارتين الصاحب بن عباد فاذا صحت الرواية كانت بادرة سيئة تستغرب ممن كان مثله على فضله وحصافة عقله . والصاحب من كبار المنشئين وامراء السجع .

ومن دواعي الدهشة والاستغراب ان هذه التزويقات اللفظية التي ليس تحتها طائل استهوت كثيرين من جبابرة العقول بـين ادباء العرب وقادتهم الى ميدانها اسـارى اذلاء وهم يحسبون انفسهم احراراً وفي جملتهم شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ابو العـلاء المعري فان تقيده بنوع الالتزام في القوافي لا يخرج عن كونه نوعاً من تلك الانواع اللفظية وقد بنى عليه معظم شعره فوصل الينـا ديوانه اللزوميات مسمى بهذا النوع . ولو لم يتقيـد به لأراح نفسه من عناء كبير ولجاء تعبيره ارسخ واسلس قياداً في مواضع كثيرة ولمـا خسر الادب العربي بهذا الانعتاق شيئاً من الفائدة واللذة . ومحصل ما يقال في التحذير من التكلف على اختـلاف ضروبه ان كلا من الشاعر والكاتب والخطيب يجب عليـه ان يسخر الالفاظ للمعاني ويجيد استخدامها لها لا ان يسخر المعـاني للالفاظ ويستخدمها لاجلها .

*

وقبل ان نخرج من هذا الفصل في التكلف وقبحه والاشارة الى بعض انواعه من سجع بارد وتوعر لفظ او معنى وتقييد القلم في دائرة معينة لاجل الظفر بتجنيس او زينة لفظية اخرى نعرض على القارىء كلاماً رصيناً يزيده رغبة في اجتناب هذه المزالق وتبـين مواضعها والشعور بقبحها . هـذا الكلام هو ما عربناه من قول الكاتب الفرنسوي الشهير فنيلون مؤلف سيرة تلماك وقد اودعه رسالة ارسلها الى المجمع العلمي الفرنسوي . وجعل عنوانه « سلامة الذوق في الادب » قال فنيلون :

« ان الذوق السليم يتخشى الافراط في كل شيء حتى في استعمال العقل فاذا تكلف المرء مظاهر العقل واسرف في استعمالها كانت مدعاة سآمة وضجر واذا اعتدل فيها كان صاحب عقل صحيح لانه علم كيف يراعي مستوى الجمهور ويمهد له طريـق الفهم ومـن ثم كان عباقرة الشعراء ذوو القرائح الفياضة والافكار الواسعة الشاسعة عرضة اكثر من سواهم للاصطدام بتلك الصخرة المعتبرة صخرة الافراط من المظاهر العقلية . فاذا قال قائل : ان عيبهم ذاك حين يقعون فيه لا يحسب الا عيباً جميلا معجباً نادر المثال . اجبناه : قد يكون الامر كما ذكرت ولكنه على كل حال عيب بـل عيب حقيقي من اصعب المصاعب تداركه واصلاحه . فاذا تحمل الشاعر خسارة الزخارف الزائفة مستغنياً عنها بالحسن الطبيعي الجلي البسيط الى حد يوهم الاهمال وليس هناك اهمال . اذا تحمل تلك الخسارة الخفيفة كان له من وراء خسارته ربح عظيم . وفـن الشعر كفن الهندسة ينبغي ان تكون اجزاؤه جميعها مزينات طبيعية فاذا وجدت بينها زينة لا يقصد منها الا الزخرف فهي حشو اذا ازيل لا يزول معه شيء الا الغرور وحب الظهور . وكل اديب يسرف في اظهار عقله والظهور به يتعب عقلي منه ويمل فلا اريده ولا اميل اليه . ولو قلل من تحذلقه لارضاني وارحني وتنفست امامه الصعداء . اني لاحس ضيقاً بمطالعة شعره فكأنها درس فيه عناء واعنات . وكأن معانيه ومراميه انوار عنيفة وهاجة تبهر عيني وتؤذيها فأحاول الهرب منها الى نور لطيف يطيقه نظري ويأنس به ويهتدي . ومحصل القول اني اريد شاعراً خفيف الظل قريب المنال من اذهان الناس يبذل جميع مساعيه لاجلهم ولا يبذل منها مسعى واحداً لاجل نفسه . اريد عظمة عقول مألوفة فيها دعة وبساطة من دعاها طمع فيها وظن نفسه قادراً على مثلها وهيهات ان يلحق لهـا غباراً فهي السهل الممتنع . اني اختار اللطيف على المدهش الغريب . لا احب ان اتبين ذاتية الاديب من خلال اثره الادبي بل احب ان انساها . فاذا وصف فلاحاً يخاف على غلتـه الآفات او راعياً لا يعرف الا قريته وقطيعه او اماً مرضعاً تحنو على طفلهـا فلا اريد ان افكر بالواصف بـل بما يصفه . صدقوني ان للشاعر وللكاتب سمو شأن ونبلا حقيقياً باختفائه وراء ما ينظمه او يكتبه تاركا المجال كله لما يعالجه قلمه . صدقوني انه لاعظم من مظاهر العقل التي يحرص عليها غيره وهو يتنازل عن جانب منها لاجل قرائه فلا يفسد عليهم لذتهم ولا يعترضهم في طريقهم . ولـن يكون الكتاب جميلا جليلا الا اذا تناسى المؤلف فيه نفسه وسمح لي ان انساه ريثما افرغ منه » .

ادوار مرقص — اللاذقية

روح وراح

سكر الليل وناما وسرى طيب الخزامى
فافاقت كل خمر في اباريق الندامى
ضللت روحي راح لشذاها العود حنا
والنسيم اشتاق
لو درى فيها الصباح خنق الضوء وجنا
من دم العشاق
سلسلت خمراً حراما

سكر الليل وناما وهفت روح الخزامى
فتسامت كل كأس فوق راحات الندامى
خمرة تأبى التجلي في كؤوس او بشكل
عافت الالوان
جبلت فيها الليالي وتبنتها الدوالي
وغلاها الجان
فزكت طعما وجاما

اسقنيها يا شقيقي فهي زادي وطريقي
لضمير الله
هاتها في عجل من خلال القبل
ببنان لاه
صيغ عاجا ورخاما

سكر الليل وناما وسرى طيب الخزامى
فتداعت كل كأس فوق راحات الندامى
ايها الساقي أخمر شعشعت في راحتيك
كالرؤى في النور
أم على كفيك جمر من بقايا وجنتيك
أم سهى مسحور
هجر الليل سآما

دبت النشوة نشوى في عروقي تتلوى
ليتني أفني
مهجتي في مقلتيك ودمي في وجنتيك
قم وغيبني
فيك حتى الانعداما

تعب الليل وناما وسمت روح الخزامى
فاستراحت كل خمر في حشاشات الندامى

علي السعد

الشاعر الاعمى

بقلم سامي الكيالي
صاحب مجلة الحديث

ماذا يثير فينا نحن المبصرين ، فقد بصر شاعر او فنان او اي انسان ذي موهبة فكرية .

اننا نحس نحوه الاعجاب اولا ، ثم الشفقة والالم ، لا سيما حين نعم بما لا ينعم به من رؤية هذه العوالم التي تفيض بالسحر والفنون، وسرعان ما يذوب هذا الالم حين نعلم ان القدر الذي سلب المكفوفين بريق عيونهم لم يتركهم يتخبطون في دياجير الظلمة ، بل فتح لهم في اعماق بصيرتهم منافذ أرتهم صور الكون باشكال والوان ان لم تكن بحقيقتها العارية فهي قريبة منها لا يسترها غير غلائل شفافة تكاد لا تفرق عن الواقع بشيء ، فالنهار المشرق والليل الساجي، والشمس المشعة والبدر المنير والنجم الساطع ، والطبيعة الباسمة ، والاشجار والانهار والجبال والوديان وما الى ذلك من نزوات حسية غير ملموسة كالحب والوجد والشوق والحنين والالم والامل والحزن والفرح — كل هذه الظاهرات لها عند الادباء المكفوفين صورها التي لا تنأى عن حقيقتها .

وقد عرفت البشرية طائفة منهم تركوا في تاريخ الفكر الانساني آثاراً خالدة ، وصدروا عن اخيلة رائعة وصور جميلة يقف المبصرون ازاءها حيارى ، فمن عهد هوميروس ، الى عهد المعري الى عهد ملتون ، الى طه حسين ، الى كثيرين ممن عرفتهم شتى الامم في مختلف العصور — منذ تلك الآماد البعيدة وتاريخ الفكر يحفظ للمكفوفين روائع الآيات في الادب والشعر والموسيقى . وفي تاريخ الادب العربي طائفة كبيرة تركت ثروة ضخمة من الشعر والقصص في مختلف نواحي الحياة وقد حفزت هذه الظاهرة الفذة اكثر من اديب واحد لان يعقدوا فصولا خاصة في كتبهم عن ذكائهم ونوادرهم كابن قتيبة وابن الجوزي وابن بانه وابي بكر الخطيب وغيرهم وغيرهم . ورأينا اديباً من ادباء القرن السابع الهجري — صلاح الدين ايبك الصفدي — يكتب كتابا ضخما عن نكت العميان فيؤرخ لهم وينقل نماذج من ادبهم وشعرهم ونكاتهم ونوادرهم ويرينا نواحي طريفة من ذكائهم ودقة حسهم وهو كتاب على غاية من الغرابة والطرافة .

وقدمت هذه التوطئة لاعاود الحديث عن الخريمي — عن هذا الشاعر المنسي الذي انكرته السياسة في عهد المأمون والذي المعت الى قصيدته الكبرى في « فتنة بغداد » . فهذا الشاعر يختلف في فقد بصره عن غيره من الشعراء فهو لم يولد اعمى كبشار ، ولم يكف بصره في الرابعة من عمره كالمعري وطه حسين بل درج في الحياة كما درج المبصرون ، فقد رأى النور حتى ملأه وعب من رحيق الحياة حتى الثمالة وشهد عن كثب اضطراب الدنيا — دنيا بغداد — وتقلقل اركانها واضطرام نزوات ابنائها وشهوات اسيادها، ونعمت عيناه بشروق الشمس وغروبها وبجمال الطبيعة وجلالها ، ورأى الناس بمختلف هيئاتهم وتهاويلهم حتى اذا انحدرت به الكهولة الى وادي الشيخوخة العميق فجعه القدر ببصره فتألم اشد الالم، ولكنه ما لبث ان تعزى عن فقد بصره بنور بصيرته وانشد هذين البيتين :

فان تك عيني خبا نورها ... فكم قبلها نور عين خبا
فلم يعم قلبي ولكنما ... ارى نورعيني لقلبي سرى

وهذا عزاء اكثر المكفوفين

وقد ردد هذا المعنى كثيرون ومما قاله ابن عباس :

ان يأخذ الله من عيني نورها ... ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقال بشار :

ان الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

وقال :

فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وهذا طه حسين في كتابه « مع ابي العلاء في سجنه » يشير الى هذا في غير موضع واحد ويقول ان المكافيف اكثر احساساً في تلمس جمال الطبيعة من المبصرين .

« ان المبصرين الذين يرون ما لا نرى ويشهدون ما لا نشهد ويتمتعون من جمال الدنيا بما لا نستمتع به انما يأخذون من اسباب هذا كله باهونها واضعفها . . . وانهم لو حققوا ما يرون – وانى لهم ذلك – لما وجدوا بين ما يرتسم في نفوسهم من الصور وبين الحقائق الواقعة الا ايسر الاسباب وابعدها من المتانة والقوة ومن الصدق والمصانعة فحقائق الاشياء وجمال الطبيعة ابعد منالا مما يظن المبصرون وغير المبصرين »(١) .

فالدكتور طه بتخريجه هذا يتحدث عن هذه الظاهرة من جانبها الفلسفي وكأنه يسدل الستار على هذه الفروق الوهمية بين المبصرين والمكفوفين .

وهذه ماري كلير العمياء الصماء قد قرأنا لها احاديث عجيبة عن تذوقها افاويق الحياة وتلمسها اسرار الكون وتمييزها بين الظلمة والنور وبين مختلف الالوان بما لا يميزه المبصرون فهي تتحدث عن فلسفة الالوان حديث الاديب الفنان العميق الاحساس فاللون الاحمر عندها اشبه بالدم الدافئ في الجسم السليم والاسمر بتربة الارض او بسيقان الاشجار المسنة التي تنخرها السوس والبرتقالي بالابتهاج والسعادة والاصفر بالوفرة والخصوبة وبانحدار الشمس والخضرة بالزكاوة وبرودة الظل والسواد باليأس وخيبة الامل والازرق الخفيف بالامل والازرق الغامق بالعزيمة(٢) .

والمجال يتسع لو اردنا ان نكتب عن هذه العبقريات البصيرة التي تشع اشعاعات باهرة في سماء الادب والفن – ولكنا لم نعرض الى ذلك الا استطراداً تمهيداً للكلام عن الشاعر الخريمي الذي فقد بصره في اخريات ايامه .

●

من هو هذا الشاعر المنسي الذي استهوتنا دراسته بعد ان المنا في الجزء السابق من « الاديب » الى قصيدته عن فتنة بغداد؟ وما مكانته ومقامه بين ادباء عصره ؟

تتفق كتب الادب على انه من فارس نزح الى الجزيرة والشام اولا ، ثم الى بغداد حيث اتخذها سكناً ووطناً . اي انه فارسي المولد ، شامي النشأة ، بغدادي الموطن ، اتصل منذ هجر وطنه الاول بخريم بن عامر المري وآله ، فنسب اليه ، وقيل انه اتصل بعثمان بن خريم ، وكان قائداً جليلا ، وسيداً شريفاً وهو الموصوف بالناعم(٣) ، وعرف في البيئات الادبية بكنيته الجديدة :

ابو يعقوب الخريمي اكثر مما عرف باسمه : اسحق بن حسان بن قوهي – هذا الشاعر الذي عاش اكثر ايامه في الشام وبغداد والذي صهرته العربية ببوتقتها ورفعته الى اعلى سماواتها ظل كثير التحنان الى ، وطنه الاول كثير التفاخر بعرقه الاعجمي ، وكأن الايام لم تستطع ان تجتث من اعماق صدره رسيس هواه الفارسي ، والى هذا اشار بقوله :

اني امرؤ من سراة الصغد ألبسني   عرق الاعاجم جلدا طيب الخبر

لقد تغنى الخريمي كثيراً ببغداد ، واحبها اصدق حب ، وبكاها ايام محنتها بشعر حزين ومع كل ذلك فلم ينس وطنه الاول – بلاد الصغد – فما بلاد الصغد هذه ؟ واين تقع من بلاد الله الواسعة الارجاء .

لقد ذكرها الفردوسي عرضاً في قصص الشاهنامه ، ووصفها ياقوت في معجم البلدان وصفاً دقيقاً واذا هي :

« ناحية كثيرة المياه ، نضرة الاشجار ، متجاوبة الاطيار ، مؤنقة الرياض والازهار ، ملتفة الاغصان ، خضرة الجنان ، تمتد مسيرة خمسة ايام لا تقع الشمس على كثير من اراضيها ولا تبين القرى من خلال اشجارها ، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند ، وقصبتها « سمرقند » وربما قيلت بالصاد(١) .

اذن فالشاعر من بلاد قد لونتها الطبيعة باجمل الوانها ، ومن قوم سراة طيبي الاعراق ، والذي نرجحه انه عاش فترة من حياته في هذه المواطن السحرية التي وصفها ياقوت حتى اذا جاوز عهد الطفولة نزل الجزيرة والشام ثم استقر في بلاد الرافدين ليأخذ العربية من ينابيعها فهل يلام الشاعر اذا رجع الى الماضي يذكر قومه ويذكر احلام طفولته وتلك المغاني السحرية من ربوع بلاده؟ .

في اية سنة ولد الخريمي ؟

ان المصادر الادبية والتاريخية لا تعرض الى ذلك اصلا ، فهي تلمع اليه الماعاً وتذكر مقطوعات من شعره واحاديث مبتسرة عنه ، فنعلم منها انه عاصر الرشيد واتصل بكاتب البرامكة محمد بن منصور بن زياد ، وشهد هذا الصراع الدامي بين الاخوين : الامين والمأمون وعاشر ابا دلف وابا الهندام من قواد الرشيد وغيرهم وغيرهم من الادباء والشعراء ورجال الفقه وكبار المجتهدين .

واذا كانت فتنة بغداد قد وقعت سنة ١٩٧ هـ وكان الشاعر قد قال قصيدته في اخريات ايامه اي في العقد السابع مثلا فتكون ولادته في حدود سنة ١٣٠ هـ ووفاته في سنة ٢١٠ هـ على اقرب

(١) مع ابي العلاء في سجنه ص ١١
(٢) المجلة الجديدة السنة ١ مجلد ١١ ص ١٣٧٥
(٣) ابن عساكر ج ٢ ص ٤٣٦ – ٤٣٧

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٨٦

تقدير ، ونحن لا نجزم بهذا التحديد بل نفترضه افتراضاً . وبعد فما ادري لماذا يهتم الباحثون بهذه النواحي الدقيقة من حياة الكتاب والشعراء ، فحسبنا ان نعرف العصر الذي ولد فيه الشاعر والبيئة التي عاش في صميمها وما علينا بعد ذلك ان تكون ولادته قبل سنة مما افترضناه او بعد خمس او عشر سنوات مثلاً .

وقد يهم القارىء ان يعلم رأي ائمة الادب في هذا الشاعر المنسي . وانا موردون نتفاً من اقوالهم لندل على قيمة شعره — هذا الشاعر الذي اهمله الكتاب المعاصرون مع انهم خصوا الكثيرين ممن ليسوا بمكانته بمباحث ودراسات على غاية من القيمة والاسهاب .

فالخريمي في رأي المبرد جميل الشعر ، مقبول عند الكتاب . له كلام قوي ومذهب مبسوط (١) وهو في رأي ابي حاتم السجستاني اشعر المولدين ، ووصفه الامير ابو نصر بن ماكولا بانه من شعراء الدولة العباسية المجيدين (٢) وروى الجاحظ بعض شعره مدللاً بقيمته وبلاغته كما اورد ابن المعتز رأياً للمبرد في كتابه طبقات الشعراء لا يختلف عن رأيه السابق فقال : كان الخريمي شاعراً مفلقاً مطبوعاً ، مقتدراً على الشعر ، وكان يمدح الخلفاء والوزراء والاشراف فيعطي الكثير ، وله في الغزل ملح كثيرة ومحاسن جمة (٣) .

وقد كان مذهبه في الادب البساطة في الاسلوب . فقد اجاب على سؤال وجهه اليه احد الادباء : ما بال شعرك لا يسمعه احد الا استحسنه قال :

« اني لا اجاذب الكلام الا ان يساهلني عفواً ، فاذا سمعه انسان سهل عليه استحسانه .

وكأنما يتحدث الخريمي في كلمته هذه ، وضوح الاسلوب وادب الطبع وهما من اقوى عناصر الاديب في اداء فكرته ورسم خوالجه وشعوره .

وكما عرف ائمة الادب للخريمي مكانته السامقة في الشعر فقد اعترف بها كبار النقاد فرأينا الصولي في كتابه اخبار ابي تمام يورد آراء النقاد في تفضيل شعره على شعر ابي تمام فيقول :

«ومن اعجب العجب وافظع المنكر ان قوماً عابوا قوله — اي قول ابي تمام . »

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خرّ من بينها البدر

(١) ابن عساكر ج ٢ ص ٤٣٦ — ٤٢٧
(٢) الانساب للسمعاني طبع ليدن ص ١٩٦ ب فوتوغراف .
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز طبع لندن .

وقالوا : كان يجب ان يقول كما قال الخريمي :

اذا قمر منهم تغوّر او خبا ... بدا قمر في جانب الافق يلمع

فماذا نستدل من هذه القصة ؟ نستدل على ان الصولي انحاز الى ابي تمام — وكان من المعجبين به — بينما كثير من النقاد كانوا يفضلون الخريمي عليه وعلى غيره من الشعراء .

والواقع ان شعر الخريمي يفيض بالقوة والوضوح ، بل يفيض بهذه الالوان التي انثالت بين مقاطعه ، فهو كثير الصور قد طبعته العربية بسحرها الازلي ، وكان لنشأته الاولى ونزوله في غطفان اثره القوي في تكوين عقليته فتزاوجت سليقته الآرية وعقليته السامية ، وكان منها هذا الفيض الاخاذ الذي لمسناه في شعره .

وفي ادبنا اكثر من شاعر واحد نشأوا نشأة فارسية ثم صبغتهم العربية بالوانها فكان لهم من هذا التزاوج العجيب هذه الدقة في الوصف والنفاذ الى اعماق الاشياء ، وكانت « الموضوعية » في شعرهم اظهر من « الذاتية » التي يتميز بها اكثر شعراء العربية القدامى .

فنزعة الاستقراء والاختبار والمشاهدة ، وحب التنويع والقدرة على الجمع بين المتناقضات ، وهذه العقلية الايجابية التي تنظر الى الحقائق كما هي حتى الهجو والمديح — كل هذا بعض ما اتصف به شعر بشار ومهيار وابن الرومي (١) وهذا ما يمتاز به الخريمي . وهو يختلف عن هؤلاء الشعراء — عدا ابن الرومي — بطول نفسه ، خذ شعر بشار مثلاً ، في شعره من متانة التركيب وحسن السبك ما لا تجده في كثيرين من شعراء عصره الذين انتموا الى البيئة التي احتوته ، غير ان طول نفسه في قصائده قد يضيع عليه شيئاً من قوة الانسجام وحسن السبك وجمال النسق (٢) ، بخلاف الخريمي فانك تجده مجوداً في الفنين : في قصائده الطويلة ومقطوعاته القصيرة ، وقصيدته في فتنة بغداد من قوة الانسجام وحسن السبك ووفرة الصور وقوة الواقعية ما يجعلها من انفس ما كتب في تصوير اعنف المعارك التي اثارتها المطامع الانسانية . ومن الخسارة بمكان ان يضيع شعر هذا الشاعر وان لا نعرف سوى بعض مقطوعات وقصيدته الكبرى التي هدتنا الى تاريخ حياته بهذه الالمامة الموجزة التي نرجو ان تكون توطئة لبحث اوسع واشمل في يوم ما .

سامي الكيالي — حلب

(١) تاريخ الفكر العربي ص ١٥٠ — ١٧٣
(٢) نفس المصدر ص ١٥٦

تعالي ...

تعالي .. هنـاك وراء التخوم
وراء التـلال ، وراء الغيوم
وراء النظر
هنـاك هنـاك ، وراء النجوم
وراء محـط ظنون البشر
مكانٌ .. لعـلّ هناك مكانا
نعيش هـدوءا به وامانا
ونلقي الحذر
هنا ، في بياضِ عيون البشر !

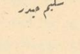
•••

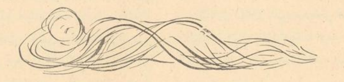
هنـاك ديار العمى والصمم
ديار البَكَم
ديـار انعـدام الحواس
فانّ القمَم
في الجبـال الرواس
لتجهل ما تمسج الضفدعـة
من القرقعة
على السفح .. توريةً وجناس!

تعالي الى سلسبيل صفـاء
وفيءٍ يصفّق فيـه الضيـاء
ودوحٍ وفوحٍ وبوحٍ براء
وطيرٍ تنقّرِ « حاء » و « باء»
فتنصب «حاء» ونرفع «حاء»
سواءٌ ، سواء !..

•••

تعالي ! .. لعلّ وراء التخوم
وراء الغيوم
وراء النجوم
وراء النظر
وراء محـط ظنون البشر
مكانًا خليا
نقطّر فيه الغرام شهيـا
ونلقي الحذر
هنا .. . في بياض عيون البشر!





نظرة في مسائل مدنية

بقلم نسيم بزبك

تكفي نظرة عامة في احوال الشعوب التي تقف على درجات مختلفة من سلم الحضارة لنقول ان هناك عوامل ظاهرة وخفية يتوقف عليها تقدم المجتمع السياسي وانتظام شؤونه وفي مقدمة هذه العوامل تأتي الفكرة المدنية التي نعرض لها الان فقد تبوأت مكانا بارزاً في كل دولة متمدنة او ناشئة تصبو الى الحياة السياسية الحرة فكانت ولا تزال هذه الفكرة رابطة تأليف بين المواطنين وعامل تقويم للاعضاء التي يتألف منها الجهاز السياسي للدولة بل انها وسيلة في جملة الوسائل المؤدية الى التدريب الاجتماعي الشامل . الواقع ان التمدن القائم على الافكار والتقاليد والثقافات يستلزم على الجملة اوضاعاً سياسية وادارية ونظما اخلاقية واقتصادية تسري على المواطنين فتفرض لهم وعليهم حقوقاً وواجبات متوازنة . فالمسألة المدنية تبدو بازاء هذه الاوضاع والنظم ضرورة من الضرورات المحتومة لانها نتيجة مباشرة من نتائج الاتحاد بالشعور والاماني تحفز ابناء الوطن الواحد للتضحية في سبيل المصلحة العامة وتقضي بالاخلاص لها والخضوع للشرائع الموضوعة واحترام الراية التي تظلل البلاد . ومما لا ريب فيه ان البيئة السياسية كالبيئة الاخلاقية لا يستقر لها قرار ولا تستقيم لها قاعدة الا على نسبة ما توافر فيها من فضائل مدنية . الحق ان هذه الفضائل ترتسم جلية واضحة في ميادين الحياة العامة حيث تشتبك مصالح الافراد في ظل القوانين والتقاليد وحيث تلتقي نزعات الشعب وامانيه في نطاق الحياة المشتركة فالازمات والمشاكل التي تعترض حياة الافراد والجماعات كالثورات الاهلية التي تضطرم في سبيل هدف اسمى انما هي جميعاً ابلغ محك للفضائل والمزايا التي تتألف منها معنويات الجمهور وكذلك الحروب التي تنشب بين الدول فانها تفسح مجالا واسعاً للاخلاص والتضحية واعمال البطولة وان شئت قل لنكران الذات والاستهانة بالحياة تلبية لداعي الوطن والشرف والكرامة هناك من يقتحم خطر الموت لانقاذ مواطن او مؤاساة جريح وهناك من يضع ثروته تحت تصرف الدولة ويحمل للفقراء والمنكوبين حقاً في امواله وهناك من يحترم السلطات والقوانين لانها تعبير للارادة العامة وسياج للمصلحة العامة حتى ولو جاءت مخالفة لمصالحه الشخصية . هذه بعض وجوه للفضائل المدنية التي تجعل من المواطنين جسما عضويا يتأثر بعضه ببعض في جميع الحالات الطارئة وتحمل الفرد على ان يفكر في مقدمة كل امر انه مواطن اي عضو عامل في المجتمع السياسي له قيمة وكرامة وحقوق الى جانب رسالة وواجبات ومسؤوليات ادركها الرومان — كما ادركها العرب في ايام سلطانهم — فصنعوا من ورق السنديان تاجا سموه تاج المدني كان الامبراطور الروماني يقدمه مكافأة لمن ينفرد بعمل من اعمال التضحية والبطولة . وعلى هذا القياس لا بد من القول ان الوجه السياسي والاخلاقي للامة يتمثل صراحة في مجموع المواطنين كهيئة سياسية تمارس السيادة بالاقتراع العام وتتبوأ المناصب وترعى القوانين وتتقيد بالخدمة العسكرية هكذا ومما تقدم نستنتج ان التربية المدنية هي ابلغ وسيلة من الوسائل المؤدية الى ترسيخ الشعور الوطني وتنظيم الدفاع الاجتماعي على اساليب صحيحة وانها حجر الزاوية في البنيان القومي بما يتفرع عنه من اوضاع وسلطات واحزاب واذا كانت الفكرة المدنية ترتبط بالفكرة الوطنية كوجهين لجسم واحد فهذا الارتباط لا ينفي وجود بعض الفوارق باعتبار ان الفكرة المدنية اكثر اتصالا بقانون محكمة الوجدان منها بقانون السلطات المنظمة فهي على الغالب فريضة اخلاقية تحمل المواطن على الاخلاص لوطنه والتضحية في سبيله وسبيل مواطنيه ومما يزيد في اهميتها ان القوانين الاخلاقية التي تفرض التضحية والاخلاص فرضاً هي اوسع دائرة وأبعد مرمى من القوانين الاخرى لانها تنفذ الى خوالج العقل

والقلب على حين ان القوانين العادية تنحصر بما يصدر عن الفكر والشعور من افعال معينة توجب العقوبة ، اما الفكرة الوطنية فهي من الوجهة المبدئية فكرة سامية لكنها قد تتخذ اشكالا مختلفة بحسب التيارات العارضة ودرجة الاستعداد في الشعب وحكامه ولذلك كثيراً ما نرى في الدول الصغيرة الناشئة خاصة رجال السياسة يستثمرون الوطنية لمآرب شخصية او حزبية وهكذا فالحقيقة التي لا مرد لها ان الوعي المدني شرط لابد منه لتقدم المجتمعات السياسية التي تنزع الى الاستقرار على اساليب الحكم الجيد . اما الدول الناشئة في الشرق الاوسط فهي شديدة الحاجة الى هذا اللون من الوان التدريب الاخلاقي بل انه ضرورة لا غنى عنها في الحياة الدستورية والبرلمانية حيث تستمد الدولة سلطانها من الشعب وحيث يتمتع المواطنون بالاقتراع العام وحيث النواب يمثلون الامة بوكالات مطلقة لا ضوابط لها ولا قيود على الجملة الا ضوابط الوجدان وقيود الفضائل المدنية ولذلك نرى رجال السياسة في الدول الديمقراطية يعنون عناية خاصة بنشر الفكرة المدنية وترسيخها كدعامة من الدعائم التي تستقيم معها نظم الحياة الدستورية والبرلمانية . وقد اثبت هؤلاء في غير موقف ان التربية المدنية هي من خير الوسائل لمكافحة التعصب الحزبي والتفرقة الطائفية والسياسية التي قد يتذرع بها رجال الحكم ليحتفظوا بالسلطة . والواقع ان هذا اللون من الوان التدريب في الحياة المشتركة يقضي على روح التعصب الطائفي والحزبي او الاقليمي وانه خير علاج لهذه العلل التي نعرفها نحن في اشكال والوان مختلفة تضطرنا للعمل على نشر هذه المبادئ . حتى تنكشف بعد حين على مسرح الحياة العامة عن حقائق مثمرة فالحياة التي نحياها الان بما فيها من زخرف المظهر واوضاع الدستور والبرلمان لا تستقيم عندنا قبل ان يستقيم فينا الوعي المدني ويتمركز ، فهذه الاوضاع يجب ان تستند الى مجموع المواطنين كجسم عضوي يتغذى بالفضائل المدنية لا كافراد متفرقين بالانقياد لنزعات الفردية والانانية اما الشرائع والقوانين فقد تبوء بالفشل مهما يبلغ بها الامر من القسوة والتشدد ، حيث لا يفقه الناس معنى صحيحاً للشعور المدني ، وعسى ابناء هذه البلاد الخصيبة بالاثار والامجاد ان يستكملوا نهضتهم القومية بتعزيز هذه الفكرة حتى يستقر مجتمعنا السياسي على اسس غير مزعزعة .

نسيم بزبك

الحب والجمجمة

لبودلير

على جمجمة البشرية
جثم الحب
ومن أعلى هذا العرش
اخذ ذلك الولد الغبي الوقاح
يضحك بطراً
وينفث فقاقيع مستديرة
تذهب في الفضاء صعداً
كأنها تطلب الالتحاق بالعوالم
في اعماق الاثير

ترتفع الفقاعة اللامعة الواهية
ارتفاعاً سريعاً
ثم تنفجر وتلفظ روحها الضئيلة
كحلم ذهبي
وانا كلما ارسل فقاعة
اسمع الجمجمة تئن وتضرع قائلة :
« متى ينتهي هذا اللعب الوحشي السمج !
فان ما ينثر فمك القاسي في الهواء
ايها المسخ السفاك
انما هو الا لحمي ودمي

ب . غ

L'Amour et le Crâne — Poème de Baudelaire

اخلاق الربيع

بقلم الآنسة فلك طرزي

◆



قد يكون مستغرباً اختياري عنواناً كهذا العنوان ، فالربيع الذي يوزع فتنته في كل طرف ، ويبث انفاسه وعبيره في كل مكان يبدو لنا مظهراً من مظاهر التحرر المطلق المتحلل من جميع القيود فتقييده بالأخلاق اذن خطأ لان الربيع ليس الا انطلاقاً · وحصره ضمن نطاق محدود خطأ ايضاً لان من صفاته البارزات السعة والتحرر · اوليس هو ابن الثورة والعنف ووليد الشدة والعواصف · والحرية ابداً بنت الثورة ووليدة الشدة ورغبة التمرد والانطلاق؟ ·

فقد كان من الارجح التحدث عن اثر الربيع في ادب الادباء او شعر الشعراء · وقد كان من المستحسن التحدث بالوصف والتصور عن كل مشهد وسحر يجلوه الربيع لابصارنا المفتونة في مثل هذا اليوم · هذا ان شئنا مجاراة من يقيس الاخلاق بالمقاييس السلبية ، ويأبى اعتبار الايجابية كأساس لها · ان الاخلاق في نظر السلبيين بعيدة عن الربيع وعن كل ما ينبت وينشأ عن الربيع لانها والتمرد على طرفي نقيض · اوليس كل ما في الطبيعة من نبت وغرس وزهر وورق يشق طيات الارض والياف الشجر والبراعم ليستنشق الهواء حيث يبصر النور · فاين هو اذن من الاخلاق وهذه تخالف جميع تلك المظاهر التي هي من صميم التمرد · غير ان هؤلاء يفوتهم امر جوهري يفوتهم ان السلبي هو النظري ، والايجابي هو العملي ، وان الاخلاق الايجابية هي الاخلاق العملية التي بني على اساسها كل عمل في الحياة سواء كان هذا العمل عمل الطبيعة ام عمل الانسان ، فالربيع اذن نظم واخلاق ، لان عمل الربيع في الطبيعة هو عمل ايجابي حتى الثورة — ان كان الربيع ثورة لها نظمها واخلاقها التي تديرها وتسيرها ·



اخلاق الربيع تتجلى في كل مظهر من مظاهر انطلاقه من القيود وتبدو في كل صورة وبادرة من صوره وبوادره · فقد يستهوينا منظر الزهرة النضرة وهي تتمايل بزهو وتيه فوق عودها · ولكننا قلما نكترث بالعمل الايجابي الذي يجري في دخيلة هذا العود في حال تكوينها ونمو بذورها ·

وقلما تمتد ملاحظتنا الى معرفة النظم التي تكون هذه البذور وتنميها · غير ان قصر ملاحظتنا عن النفاد الى ما يكمن ويجري خلف مفاتن الربيع لا يمنع ان يكون لكل عنصر من عناصره نظم وقواعد تسيره فينمو ويتكون حسب قوانينها التي لا يستطيع ان يشذ عنها او يحيد · فكل ما يجري في الطبيعة خلال الربيع من انفجار المياه من ينابيعها وانطلاق الزهرة من برعومها الى التفاف الغصن بالاخضر البراق واكتساء الارض بالسندس كل هذه احوال تسيرها في الخفاء نظم وقواعد ، وتجعل لها اخلاقاً خاصة بها · وتتوزع هذه الاخلاق فصول السنة الاربعة : ففي الشتاء تعصف الطبيعة وتثور لان جنين الحياة يتكون فيها من جديد ، ثم تنطلق في الربيع مبتسمة باشراق لان الشباب يتمثل في كل مظهر من مظاهرها ، ومن شبابها وانفعالاته هذه يتولد الصيف حيث تعطي الثمر والانتاج ، وحيث تأخذ



الخلاق النضج تتكون فيتمم الخريف عمل النضج هذا حيث تستلم فيه باطمئنان الى نهايتها . غير ان ابرز فصل تتجلى فيه الحياة بكامل معانيها، بجمالها وقوتها وحيويتها ، هو بلا ريب فصل الربيع لا لان الحياة خلاله تضحك وتتألق في الارض والماء والشجر والسماء فحسب بل لان جميع هذه الصور والروائع هي سيماء وملامح طور هو في طليعة اطوار العمر ، عمر الطبيعة وعمر الانسان واعني به طور الشباب فعمل الربيع اذن هو عمل الاخلاقي الايجابي لانه عمل الشباب في الطبيعة ولانه تمهيد تعليل النضج والانتاج .

ربيع الطبيعة وربيع الانسان كلاهما شباب يمنح الروح لكل شيء ويوزع الحياة على كل شيء .

ربيع الطبيعة وربيع الانسان كلاهما حيوية وخصب واريحية يهبان من ذاتهما وينشران النفح الجديد والجو البهيج في كل مكان . ولكن هنا ايضاً يتبادر الى اذهان السلبيين — اولئك الذين يريدون تسيير شؤون العالم من اعالي صوامعهم — ان شباب الانسان في جميع مظاهره كشباب الطبيعة ليس الا تحللا من انواع القيود وانطلاقاً من المألوف المعروف الى ما وراءه . أوليست الثورة كلمات مرادفة لمعناه ؟ اوليست انفعالاته الجامحة وما يرافقها من عواصف وليدة هذه الحرارة الملتهبة التي تضطرم فيه وتطبعه بطابع الحدة والقوة اللتين هما من ابرز صفاته ؟ فالاخلاق اذن في نظرهم بعيدة عنه ولا صلة لها به لانه رمز التمرد . غير ان الايجابيين يخالفون السلبيين في نظريتهم هذه ويعتقدون ان للشباب كما للربيع اخلاقاً ايجابية تجعل له خصائصه التي يتميز بها من بقيـة اطوار العمر ، أوليس الامل والعزم والهمة والطموح في طليعة الصفات المشتقة من اخلاقه ، أوليس الجد والحزم والخوض في غمار الجهاد في سبيل انشاء حياة ترتكز على قواعد جديدة من ابرز صفاته ؟ الشباب نور متألق وجهاد مستمر كما ان الربيـع زهو وسحر وخضرة ... الشباب صلة تربط حلقات السلسلة الاجتماعية بعضها ببعض كما ان الربيع رابطة تصل مختلف عناصر الطبيعة بعضها ببعض .

فيا أيها الشباب فتياناً وفتيات ! ان رسالتكم الى الامة التي انبعثتم منها هي كرسالة الربيع الى الطبيعة ! رسالتكم اليها هي رسالة الحضارة والتطور رسالتكم هي رسالة الحياة وما تحمل من معاني الجد والمرح والعمل ، وكما تستمد الطبيعة القوة والحيوية من قوة الربيع وحيويته كذلك تستمد الامة قوتها وحياتها من قوتكم وحياتكم .

ايها الشباب فتياناً وفتيات ! ان سبل العمل مبثوثة أمامكم تناديكم وترقب منكم ان تسلكوها ولكن لا يذهب بظنونكم ان هذه السبل قد تكون محفوفة بالورود والرياحين كتلك التي تكتنف الرياض والروابي وتحف بها الان ، اذ لا تنسوا ان تطور الطبيعة الذي تشاهدون معالمه في كل مكان قد مهدت له العواصف والاعاصير وافسحت له قوة اخترقت كل حجب فقضت على كل واه وفان .

فلك طرزي — دمشق

ابن بجماليون

بقلم محمد حاج حسين

ليسانسيه في الاداب من جامعة فؤاد الاول
واستاذ الادب العربي في التجهيز ومعهد الفرير باللاذقية

قصر بجماليون في قبرص

غلاطيا : بجماليون ! ..

بجماليون : معبودتي غلاطيا .

غلاطيا : لماذا تناديني بمعبودتي ؟ .

بجماليون : انت شعة النور في حياتي ، وومضة الالهام في رأسي ونبعة الحق ، تتفجر على جنباتي .. غلاطيا يا معبودتي .. سأظل التجهد في الفناء بحبك ، حتى يموت في كل عرق ينبض .

غلاطيا : اكاد لا اعي شيئاً مما تقوله ..

بجماليون : رحماك يا غلاطيا ، النور الذي ابصر به ، والمتعة التي اجتليها ، والحب الذي يلامسني ، كل هذه النعم ، دفقة من اعصابك المحرقة ... فاذا ما عبدتك ، ومزقت اجزاء نفسي على مذبحك ، لا اكون اجترحت شيئاً عجيباً ..

غلاطيا : والآلهة ، ألا تخشى ان تغار لعبادتك لي ، فتجهم حياتك ، وتنتقم منك .. لجحودك وكفرك ..

بجماليون : لتصب شواظها المحرقة ، ولترسل عذابها القتال ، ولتسفع ايامي بالضباب الادكن ، ولتسلط علي الافاعي ، فانا لا أهابها ، ما دمت الى جانبي ، أنهل الرحمة والنور من عينيك الصافيتين الطهورين .

غلاطيا : ألا تخشى ان تنتزعني منك ؟ .

بجماليون : غلاطيا .. ماذا تقولين ؟ .

غلاطيا : ان الالهة ، اذا ثارت الكرامتها الجريحة عسافة بطاشة ، تجلجل بقوة ، وتمحق بلا رحمة ..

بجماليون : انها حرة .. لتفعل ما تشاء .

غلاطيا : البارحة سمعت عويلا يرتفع في اجواز الفضاء ، وشهقات تتردد وزفرات تصعد ، ورأيت اناساً يذرفون الدموع ، ويلدمون الصدور ، وقد صوح الحزن وجوههم الشاحبة فاستطلعت الخبر ، فعلمت ان شابة ناضرة قد ماتت ، بعد ان خلفت الحسرة في كل جانحة ، ولما تساقط علي الليل ، واحتوتني ظلمته تراءت لي اشباح الموت ، واستوعبت سره ، وادركت ان الموت سيقتلني ، وسيطويني في ظلمة الرمس الدامسة .

بجماليون : غلاطيا ، الموت واي موت تعنين ؟ انت عصية على الموت ، شامسة على الانحلال ... ستغيض البحار ، وتنطفىء الشمس ، ويفنى القمر في لجة العدم ، وتغور النجوم ، ولكنك ستظلين وحدك وامضة بالحياة تخطفين في قلب الحياة على كر الدهور ومر الايام .

غلاطيا : افزعتني ! ان رجفات تميد بي ، لهول كلامك .

بجماليون : غلاطيا ! .

غلاطيا : اخبروني ان في الموت راحة غامرة ، وهناء سرمداً ، واني تواقة الى هذه الراحة ..

بجماليون : الموت لا يجرأ ان يدنو منك ..

غلاطيا : أصبو الى الموت لارى ولدي باخوس .

بجماليون : ان ولدنا باخوس لم يمت ..

غلاطيا : ولكنه ذهب منذ امد قصي ، ولم يعد ، واحسرتاه على طفولته الغضة .

بجماليون : سيؤوب قريباً ، وسيحكم هذه الجزيرة الخالدة ، وسيملأ الدنيا عدلا .

غلاطيا : اماني خداعة ، طالما منيتني بها .

بجماليون : سترف طلعته البهية على هذه الربوع الحالمة ، فتهفو اليه القلوب ، وسيبني مدينة فخيمة تعرف باسمه .

غلاطيا : منذ اختطافه لم اذق هناءة ، فهو دوماً يراود خيالي ويسكن في نفسي ، ابصره في كل مكان ، يتسلق الشجرة الفرعاء ويطفر على الينابيع الثرة ، ويشدو مع العصفور الفرد ، ويشل بانداء الطبيعة ، ويقفز على الصخور المردة ، ولكن وا اسفاه ، عند ما اتقراه ، ابغي ضمه الى صدري ، لاسكن الخافق الملتاع ، لا ألبث ان تتجلى الحقيقة القاسية امامي ، واذا بخياله الذي يطوف بي ، يذوب كما تتلاشى هشيشة الزبد .

بجماليون : كفكفي من حزنك يا معبودتي .

غلاطيا : ان نداء الامومة يذود عني لذيذ الحياة .. كنت قرة مغتبطة بفلذتي باخوس اداعبه وادلله وارى في نظراته سر البقاء وروعة الوجود ، واأسفاه على الغابر الهني ، الذي كنت اعب فيه من مرآه .

بجماليون : أتحسبين ان حبي لباخوس يقل عن حبك .. اراه يضطرب دائماً في كياني ولكن عزائي في اوبته العاجلة .

غلاطيا : لقد تصبرت وتريثت وانتظرت .. ولكن الذكرى تحرقني ، واللوعة تمضني والشوق يرهقني ، ان حيـاتي بعيدة عن ولدي باخوس ماحلة خالية من العطر .

بجماليون : ثقي يا معبودتي ان ولدنا باخوس ينعم بحياة ترفة ، وسعادة راضية ، على ذرى الاولمب .

غلاطيا : لماذا ذهب الى الاولمب ؟

بجماليون : لقد تلظت الالهة غيظاً عند ما عزفت عن عبادتها لاعبدك عوضاً عنها .. ان الغيرة سم زعاف ، ما تسربت الى شيء الا ونخرته .. فتخطفت ولدنا باخوس .

غلاطيا : وما جريرة باخوس في هذا ؟ .

بجماليون : انتقمت الالهـة وحاولت ان تفجعنا بثمرة حبنا باخوس الشعاعة التي تنير حلكة حياتنا ، والزهرة اليانعة ، التي تعطر ارجاءنا ، فانتزعته منا ليكون قصاصاً صارماً عنيفاً .

غلاطيا : طوح بعبادتي الى اليم عسى الالهة ان ترق فترد الي ولدي ؟ .

بجماليون : أأستطيع ان اجتث عبادتك انت التي سكبت على روحي قطرات المحبة ، وارتفعت بي الى السماء ، واسبغت علي النعم الضافية ..

غلاطيا : اريد ان اظل اسوانة على ولدي ، اكابد غصص فراقه الذي يحزنني ، الحياة بلا باخوس غليظة جافة .

بجماليون : غلاطيا .. كانت حياتي خالية من الروح والعبير ، حتى اذا ما اشرقت في وجودي ، تبددت الغيوم التي كانت تكدر حواشي حياتي لأمتلئ بفرحة هي مزيج من الطمأنينة والروعة .

غلاطيا : ابتهل الى الالهة لترحم ضعفنا .

سأجثو في معبد جوبيتير ، ليلي نهاري ، ضارعة اليه ان يرجع لي حشاشتي ..

بجماليون : الا تذكرين يوم هل علينا باخوس برشاقته المغرية متهلل القسمات منطلق الاسارير ودفع الينا ذلك الطائر الصغير ذي الالوان الزاهية العجيبة ، والسقسقة العذبة وحدثنا ان طائراً كبيراً جارحاً طارد هذا العصفور الفرد لينقض عليه ويغيبه في جوفه لقمة هينة وكيف صده عنه وانقذه من مخالبه .. ألم يدفع الينا ذلك الطائر المعرقش ، بذرة عجيبة ، ألقيناها في الارض ، حتى نمت وربت وترعرعت في ضوء الشمس ، فاذا بها دالية خضراء تعرش في السماء وتتدلى منها عناقيد ذهبية ، لم تلبث حتى اختمرت وسال منها عصير رشفناه ، فيخدر اعصابنا ، وتسري فيها زهرة راعشة ، تجمل الدنيا وتبهجها لنا .

غلاطيا : اجل اتذكر .

بجماليون : هذا العصفور ، قد هرب من ذرى الاولمب ، مرتع الالهة ، وحمل في منقـاره ، بذرة العنب ، شراب الالهة ، الذي اختصت به وحدها ، فاذا به شراب سائغ ، حلو المذاق ، يستمتع به الناس ، فغضبت الالهة وصعقت لهذه الفعلة ، وراح باخوس ، اله الخمر ، في ثورة ، تجتاحه النقمة .. لسرقة هذا الشراب .

غلاطيا : ومن هو باخوس هذا ؟

بجماليون : اله الخمر ، ولد من جوبيتير ، وسميليا ، ولقد انقضت صاعقة على امه ، فحرقتها ، فانتزعه ابوه جوبيتر من جوفها ، ووضعه بين جوانحه ، حتى اكتمل نضجه ، وجاء الى الاولمب ، ومنحه ابوه رتبة الالهة .

غلاطيا : الان فهمت ..

بجماليون : ان نبـأ باخوس لعجيب ، وهو يأبى ان يرد الينا ولدنا ، ولقد اشتجر نزاع بين الالهة ، فبعضهم يود ان يعيد الينا باخوس ، ولكن اله الخمر شديد الرعونة ، يأبى تحقيق هذه الرجية .

غلاطيا : سأضرع اليه حتى يرحم ذاتي ويعطف على بؤسي .

بجماليون : انه قاس ، جامد الاحساس ، عادم الرحمة .

غلاطيا : ولكن دموع الام ، تستطيع ان تمزق قسوة الجبال

بجماليون : لن تمضي مدة طويلة ، حتى ترى جزيرة قبرص ولدنا باخوس ، يتخطر في ربوعها ، وقد افعم حكمة وتجربة .

غلاطيا : الا يمكن ان اطير الى الاولمب لارى ولدي .

بجماليون : ابداً .. فهناك مقر الالهة .

غلاطيا : لماذا اختص الاولمب بالالهة ؟ .

بجماليون : لانهم خالقون .. والخالق اسمى من المخلوق ..

غلاطيا : اهم الذين خلقوني ؟ . ولماذا ارى البشر يموت على محياك ؟

بجماليون : غلاطيا .. ذرينا من هذا الحديث .

غلاطيا : انت ساهم الوجه ، تتسع حدقتاك ، وتشيع صفرة رهيبة في وجهـك .. وان فرائصك ترعد ، وجسمك يهتز ، أفقدت وعيك ؟

بجماليون : غلاطيا ، هذا المساء الساجي الذي نسبح فيه ، فاقد الجمال ، بارد الروح ، اذا لم تؤنسيه بقامتك المغناج .

غلاطيا : أجب .. هل الالهة خلقت كل شيء ؟ .

بجماليون : الالهة خلقت كل شيء ..

غلاطيا : حتى انا وانت ..

بجماليون : انا مخلوق ، وهبته الحياة ، امرأة قاصلت فيها الروح وتجمعت فيها الوان العبقرية فدفعتني الى الوجود ، أمور بالمجاد ، وأخفق بنعم .

غلاطيا : ومن هذه المرأة ؟

بجماليون : هي اروع من الشمس عند ما تطفل الى الشفق ، وتخضبه بالوانها القانية ، وابرع من القمر الذي يسبح في ثبج السماء .

غلاطيا : غموض يغلف كلامك ، ان الوضوح جميل ، والحقيقة تبدو وضيئة ، في عريها وجلائها ..

بجماليون : كلامي بعيد عن اللبس ، لا يحوسه الابهام .

غلاطيا : لم افهم شيئاً مما تردده . اكاد اختنق ، وأحس اصابع حديدية ، تضغط عنقي ، أزح عني هذه الغشاوة التي تتلبد في أفقي ، وتجعلني اغيم بوكف ألم .

بجماليون : ماذا تبغين ؟ .

غلاطيا : العصفور الذي يسبح على عساليج الشجر ، ويهتف باغانيه للصباح الفتيق ، المشعشع بالندى ، يعرف له اماً واباً ... اما انا ، واحسرتاه ، فترمضني نقمة فاجعة ، فلا اعرف أسرة انتمي اليها ولا اتذكر طفولتي ..

بجماليون : أنت سر الابد ، وصدحة الطبيعة ، وبسمة النور ، أمك الحياة ، وأبوك الفن ، وطفولتك الابتكار ..

غلاطيا : من هي المرأة التي تعنيها في حديثك ؟

بجماليون : اية امرأة ؟

غلاطيا : تلك التي تزعم انها ابهى من البهاء ، المرأة التي منحتك سر الحياة ، المرأة التي خلقتك ..

بجماليون : هي غلاطيا ..

غلاطيا : (مشدوهة) أنا ؟ ..

بجماليون : غلاطيا ، الامل الريان الذي اهفو اليه ، والحلم الهني ، الذي أتطامن عليه ، والدعة الرفيقة التي امتاحها ، والهدأة الرضية التي تسيطر على اعصابي ، كلها نجمت منك ، فانا منحة غلاطيا .

غلاطيا : الالهة وحدها التي تخلق ، علام ، اذن لا استطيع ان اصعد الى الاولمب ، لارى ولدي ؟ .

بجماليون : لست الهة حتى تتحقق لك هذه المنية ..

غلاطية : كيف خلقتك اذا لم اكن الهة ؟ ؟ .

بجماليون : انت اسمى من الالهـة كلها ، تجمعت فيك اشياء لا ترفرف على سكان الاولمب ..

غلاطيا : ومن خلقني اذن ؟ .

بجماليون : انت التي خلقت نفسك .

غلاطيا : لا تهذي ولا تهرف ، ولا تجعلني هزأة . واذا لم تر امامي الطريق ، قذفت نفسي الى البحر تتكسر على امواجه ، لا تعذبني .. بجماليون ..

بجماليون : سأفضي الك بكل شيء .. أصبحت حاكماً على جزيرة قبرص ، التي اخلصت لها الحب ، واعتزمت على خدمتها بما أوتيت من حذاقة وكياسة ، لاجعلها جنة فيحاء ، في جمال التنسيق والتنظيم ، وافرغت عليها كل مواهبي وخلت ان اعمالي هذه تهمد الفورة المحرقة التي تنتابني ، ولكن الشعـلة المقدسة التي ازجتها الالهة في صدري ، اخذت تجثم على ذهني ، كنت يوماً تسرب الي اليأس المعتم ، واغبرت الجزيرة الجميلة في ناظري ، حتى تمنيت ان يطغى عليها البحر اللجي ، ويغرقها ويجعلها اثراً بعد عين .

غلاطيا : ما سر اليأس ، الذي تراقص امامك ، يرنق حياتك بكدرات ، ويسلمك الى هذه الحالة البائسة ، التي تستدر الشفقة وتجعلني دمعة .

بجماليون : ما أنبل العواطف التي تنداح فيك .. انك تأسين على الماضي الحزين ، الذي حبست فيه ، ولو كنت معي ، لحدبت علي ، ومسحت كلومي ، بجمال روحك .

غلاطيا : لم لم اكن معك ؟ .

بجماليون : كنت فكرة في ضمير الغيب لم يتمخض بك رأسي ..

غلاطيا : ومتى تمخضت برأسك ؟ .

بجماليون : كانت حياتي في قبرص ذابلة ، واجتويت السياسة وجدفت عليها الف مرة ، وحبست نفسي الى عزلة ، في شعاف الجبل أسامر الوحوش واناجي الطيور ، واعزف للنجوم ، واغني للقمر .

غلاطيا : لماذا لم تتزوج من امرأة في جزيرتنا ؟

بجماليون : كرهت من النساء هذا الاستهتار الفاضح والانزلاق في مهاوي الاثم ، والفسق الذي يمارسنه فارى بام عيني خيانة الزوجات تصفع الازواج .

غلاطيا : اوتخون المرأة زوجها الذي يضمها الى كنفه ؟

بجماليون : ما أبرأك ، انك السذاجة المجسمة والطهارة الكاملة واني لذهنك الالهي ان يتسرب اليه فكرة الرذيلة .

غلاطيا : ولماذا تخون المرأة زوجها ؟ .

بجماليون : كنت في وحدتي القاتلة ، احاول التسرية عن نفسي

في خضم السياسة فلم اجد في غمارها الا البلاء.

غلاطيا : كيف وجدت اخيراً التعزية .

بجماليون : اهرب من السياسة الى احضان الفن ، الذي كنت مغرى به ، ففي مصنعي اذيب اتراحي ، فاندمج في عملي ،مخلصاً، فانسى ماتحدق بي من بشاعة،ان جمال الفن يريق على الحياة فتوناً ومحبة .

غلاطيا : الفن ، الذي أنقذك من آلامك .

بجماليون : الفن ، النشوة الروحية الصافية ، التي كنت افزع اليها اذا لذعتني الحياة ،ففي مصنعي،إهرع الى مخلوقاتي الجميلة اجاذبها الحديث وأفنى فيها القد وهبتني الالهة نزوة الفن التي تطفر بالكائن الحي الى السماء،وتجعله اقرب الناس الى الالهة لان موهبة الخلق تكون عنده متدفقة . كنت أنحت التماثيل من قلبي ، فتبدو جياشة بالحركة والاحساس لا ينقصها الا الروح تدب فيها ... وأظل الساعات الطوال في مصنعي ذاهلاً عن الحياة والمجتمع ، لا أحس الا الجمال يحوطني ويفيض علي نعمه ، ثم تراءت لي الحقيقة ، فاذا بي معذب بائس ، فقد احسست بفراغ حياتي ، لااستقر على فكرة حتى تقفز لي غيرها ، ولا اجنح الى تمثال ادع الحياة تسري فيه حتى يبدو لي نقصه فاضجر منه واحطمه :

غلاطيا : اوحطمت تماثيلك ؟ بجماليون : تراءى لي مصنعي كفحمة .. ونشدت الكمال الفني فبلغته وضقت به ذرعاً ففي كل لحظة تتجدد افكاري عبثاً احاول الاستقرار،ماذا اريد لا اعرف..

غلاطيا : اوهجرت الفن ؟ .

بجماليون : تراءت لي تماثيلي ، حبالا من نار تشد على عنقي لتخنقني ، وقعدت على صدري الهموم وطلبت من الالهة ان تستل روحي .. وهزل جسمي حتى اصبح خيالا حائلا ولوناً زائلاً وهتفت من اعماقي ايتها الالهة خلصيني .. ولكنها سدت سمعها دوني ..

غلاطيا : تفزعني بهذا اليأس الذي لفحك ..

بجماليون : غلاطيا ، تقت الى المخلوقة التي تشاركني مصيري، كان نداء الزوجية يلح على عواطفي وصرخت ايتها الالهة : خذوا فني وامنحوني امرأة تنسق مع فكري هبوني المرأة الجميلة التي تكمل جمال حياتي حطموا فني وادفعوا الي المرأة التي تفهمني وتنضر الحياة لي ..

غلاطيا : وكيف حصلت علي ؟ .

بجماليون : عشت في رأسي كمثل اعلى ورسمتك في مخيلتي وخلقتك اخيراً .. غلاطيا : انت الذي خلقتني ؟ أأنت اله ؟ .

بجماليون : فنان يامخلوقتي، قلبت المرمر في يدي ورحت اعمل في الدمية التي عاشت في ذهني .. وذهلت عن كل شيء حتى برأت صورة المرأة التي طالما تشوفت اليها فخرجت تمثالا يطفح بالفن ، فيه كل الالوان التي سيطرت على حسي .

غلاطيا : ماذا حدث بعدئذ ؟

بجماليون : اذا فرغت من عملي السياسي الناصب سعيت الى التمثال الذي صنعته يدي اتجهد في عبادته والثم الفم الذي يفتر عن لؤلؤ نضيد وأطلقت على التمثال الحبيب اسم غلاطيا .

غلاطيا : اسمي انا ؟ .

بجماليون : كنت التمثال يا معبودتي . عبدتك مراراً .. فماذا افعل اذا تمشت فيك الحياة ؟ .

غلاطيا : أنبعث من الحجر ؟ .

بجماليون : وتراءت لي التماثيل الكفيلة في مصنعي ديدانا سامة فهويت عليها تحطيما وتكسيراً حتى لا تصافح عيناي غيرك ياغلاطيا ، ورأيت تمثالك املي في جهمة الحياة ، افزع اليه كلما احزنتني الالام وأتمنى ان تدب فيه الحياة ، وجثوت ذات يوم في معبد فنيوس ، أتضرع اليها بدموعي المكتومة ، ان تجعل الحياة تتمشى في التمثال ولما أويت الى التمثال في المساء اخذت اعانقه بحرارة ويا لدهشتي اذ رأيت المرمر يتململ و كاد قلبي يثب من ضلوعي عندما رأيت الذراعين المفتوحتين ، ترعشان وتنضمان علي .

غلاطيا : عرفت سري ..

بجماليون : واصبح التمثال الذي نحته ، امرأة حية فتزوجتها ونسلت منها ولدي باخوس .. ان السعادة تشرق على حياتي ، وخمدت الجذوة التي كانت تعذبني ..

غلاطيا : اريد ولدي .

بجماليون : سيرجع يا معبودتي ..

غلاطيا : لا تناديني هكذا لئلا تغضب الالهة

بجماليون : ماذا يعنيني من الالهة ؟ ان مبتغاي رضاك ..

غلاطيا : أحس هزة تسري في جسمي . تكاد انفاسي تختنق في صدري ..

(ويتطلع اليها بجماليون ،ويصعق لمرآها ، فان عينيها تنطفئان ، وجسمها يضطرب واعضاؤها تتقاص .. واذا بها تخر على الارض تمثالا جامدا فاقد الحياة .. فيدنو منها ويهزها .. فلقد فارقتها الحياة ، فيظلم الوجود امامه ويقرع سمعه صوت يزأر من بعيد : الويل لك يا بجماليون ايها المجدف على الالهة . .الذي عبد تمثالا .. وهبنا لتمثالك الروح فكفرت بنعمتنا فانتزعناها منك ورددنا اليك صنيعك الجاف .. ايها الفنان .. ستبقى معذبا .. لانك لا تستحق الا العذاب .. فيقع بجماليون مغشياً عليه)

محمد حاج حسين — اللاذقية

توماس جفرسون

في ١٣ نيسان (١٩٤٣) احتفلت الولايات المتحدة بمرور مئتي سنة على مولد توماس جفرسون الرئيس الثالث لجمهوريتها . وهو من اكبر الرجال الاميركيين، مثل دوراً مهماً في عهد جهود الولايات المتحدة في سبيل الاستقلال وكانت نظرياته في الحياة الديمقراطية من اشد المؤثرات وابقاها في تكوين مسلك تلك الدولة السياسي .

على ان اسم جفرسون محترم في الولايات المتحدة لكنه غير مشهور على الالسنة كجورج واشنطون او بنيامين فرنكلان . وهو لم يكن خطيباً ملسانا نظير بتريك هنري . بل كان في المجمع النيابي الذي انتدبه لكتابة اعلان الاستقلال معروفاً بلقب « العضو الصامت » . كان بارعاً في اعمال اللجان . واكثر ما شعر الناس بنفوذه في اتصالاته الشخصية ومراسلاته وكتاباته . وفوق ذلك احب العزلة والسكون وحياته الخاصة منفصلة تماماً عن حياته العامة .

ولد جفرسون في ١٣ نيسان ١٩٤٣ في شادويل فرجينيا وامه جاين رندولف تتحدر نسباً من اللوردموراي الشقيق النصفي للملكة ماري الاسكتلندية . اما ابوه بطرس جفرسون فينتمي الى عنصر نومان القوي . و كان بطرس هذا نظير جورج واشنطون مخططاً للاراضي ثم قاضي صلح ثم عضواً في مجلس نواب المستعمرة وبالغا رتبة كولونل في الحرس الوطني . وقد تملك ارضاً واسعة على الحدود الغربية وأحرز بقاعاً اخرى بواسطة نسيب لزوجته . ولمامات عن ٨ اولاد سنة ١٧٥٧ ل ميراثه بحسب الشريعة البريطانية الى اكبرهم توماس وقد اربت مساحة املاكه على ٢٧٥٠ فداناً .

كان عمر توماس وقتئذ ١٤ سنة فدخل بعد قليل كلية وليم وماري في وليمسبرج عاصمة المستعمرة عملا بمشيئة والده قبل الموت وانصرف الى تعلم الاداب وتعمق في درس مشاهير الكتاب اليونان والرومان . وبعد فوزه بالشهادة عكف على درس القانون مدة ٥ سنوات وهو عهد طويل في تلك الايام لان بعض زملائه كبتريك هنري استحصلوا اجازة الممارسة بعد استعداد ٦ اسابيع لكن تاريخه التالي وما نظم فيه من قوانين دل على فائدة تعمقه في الشريعة .



اثر تذكاري في واشنطون للرئيس الثالث توماس جفرسون . وقد شيد من الرخام وفيه تمثاله البالغ طوله ١٩ قدماً . وعلى رواقه جمهرة تماثيل تمثل جفرسون يتلو على لجنة من النواب لائحة الاستقلال الاميركي وفوقها هذه العبارة : « اقسمت ان اعادي كل شكل من الاستبداد في عقول الناس » . وهناك عبارات غيرها منقوشة على الجدران ومنها هذه الرائعة المقتبسة من لائحة الاستقلال : « نعتبر هذه الحقائق ثابتة من نفسها : ان كل الناس خلقوا متساوين»

كان جفرسون غير جميل المنظر ولكن مقبولا ومحبوباً ومع ان السكر والقمار كانا لهواً عاماً لشبان عهده فهو لم يشرب مسكراً ولم يقامر . اجل انه لم يبالغ في التحفظ بل كان عشوراً يرقص ويعزف على الرباب في الاجتماعات العائلية . وسنة ١٧٧٢ اقترن بالشابة الارملة مرتاسكلتون فاضافت الى املاكه مساحة كبيرة جديدة . واقتنى مكتبة حسنة . ولما تعسرت احواله المالية باعها من الحكومة فصارت اساساً لمكتبة المجمع النيابي الحاضرة العظيمة . وكانت اهتماماته العلمية متنوعة بين سياسية واجتماعية وعلمية واختراعات . وتوفيت زوجته سنة ١٧٨٢ فحصر عنايته بابنتيه ماري ومرتا اللتين عاشتا من بين ٦ اولاد الى سن الرشاد . ورافقته مرتا دائماً وصحبته الى اوروبا في مهمته الدبلوماسية واطبقت عينيه لما مات في مونتيسيليو . وقد اشتبك جفرسون بطبيعة حاله في الجهاد ضد اعمال السلطة في ذلك العهد عدتها المستعمرات الثلاث عشرة تعديا على حريتها وانتهى به الامر وبرفاقه بتريك هنري

غيره في الندوة النيابية الى اعلان الثورة . وقد ظـل جفرسون عضواً في الندوة الى انزالت من الوجود .

وكان روح الحركة في تنظيم لجنة مراسلات فرجينيا التي تعاونت مع امثالها في المستعمرات الباقية على توحيد الافكار . وساهم في كتابة رفض الندوة لمعروضات المصالحة . وألح بدعوة مجلس نيابي الى الاجتماع في فيلادلفيا . ولما اجتمع هذا المجلس كان جفرسون من اعضائه نائباً عن فرجينيا .

وفي حزيران ١٧٧٦ انتدبه المجلس مع اربعة آخرين لكتابة اعلان الاستقـلال . فقرر الاربعة تكليف جفرسون للقيام بهذا العمل . فأتمه طبقاً لمرامهم . وانتخب حاكماً لولاية فرجينيا مرتين متواليتين اي سنتين . وباشر حالا تنظيم قوانين جديدة تحل محل القوانين القديمة ورسم خطة تامة للتعليم العـام . واخذ يمهد لقانون مقبل يسن لالغاء الرقيق . فتحرير العبيد كان شغل افكاره الشاغل وقد بدأ في نفسه فاخذ يعامل عبيده بانسانية تامة . واحبوه حباً جماً . وقد فاوض كثيراً من اصدقائه في هذا الموضوع . وجاهر مراراً بوجوب تحريرهم وتعليمهم واعدادهم لتحمل الاعباء الوطنية نظير باقي اخوانهم من البشر فلم يلق اقتراحه التحريري للعبيد قبولا بين قوانين فرجينيا . لكن كتب الشرع اشتملت على كثير من نظرياته . اما اقتراحه للحرية الدينية فقبل قانوناً في حكم صديقه جيمس ماديسون . وكان هذا القانون المتعلق بحرية الاديان هو العمل الذي تاق جفرسون الى ان تذكره به الذرية

لما كان توماس جفرسون حاكماً على فرجينيا سعى لتأليف الاتحاد الاول بين المستعمرات السابقة بالحاحه على فرجينيـا بان تتخلى عن دعواها في الاراضي الواقعة في غربها . فحمل هذا العمل الولايات المجاورة على الاقتداء بها وكان شرطاً لدخولهن في سلك الاتحاد الاميركي . وبعد ان اتم مدته حاكماً عاد الى مونتيسلو آملا ترميم مزارعه الخربة والعيش زراعاً في فرجينيا . لكن زوجته توفيت سنة ١٧٨٢ فلم يجد وسيلة لتسلية قلبه الكسير الا بالعودة الى الميدان السياسي . فانتخب عضواً في المجمع النيابي ، ووضع اسلوباً لادارة الاراضي الغربية وانشاء الولايات منها . ولالغـاء الرقيق فيها . فقبل الجميع كل اقتراحاته ما عدا الغاء الرقيق . ولو قرر هذا الالغاء لامكن اجتناب الحرب الاهلية التي دارت في عهد لنكولن .

وفي عام ١٧٨٤ ذهب مع بنيامين فرنكلان وجان ادمس الى اوربا لعقد معاهدات مع الدول الاوربية . ولما تقاعد فرنكلان عين جفرسون مفوضاً في باريس . ولما كان هنـاك نشبت الثورة الفرنسية الكبرى وكان من زعمائها لافيات وغيره يجتمعون في بيته ويستشيرونه . وعاد الى اميركا سنة ١٧٨٩ اذ انهى المؤتمر الدستوري الاميركي اعماله في فيلادلفيا . وكان يرجو اعتزال الاعمال العامة لكن جورج واشنطون الح عليه بقبول منصب ناظر الخارجية . وبقي الى ان ترك واشنطن الرئاسة سنة ١٧٩٣ فلما كان عام ١٧٩٦ انتخب جان ادمس رئيساً للجمهورية وجفرسون نائب رئيس وسنة ١٨٠٠ انتخب جفرسون رئيساً وقد قال فيه خصومه اشياء كثيرة في المعترك السياسي كأنه متأثر بالثورة الفرنسية الدامية وان عهده سينشر الخراب والدمار في البلاد . اما جفرسون فلم يرد على هذه الاقوال بشيء ، بل ظل قابعاً في عقر داره في مونتيسلو الى ان تم الانتخاب فاذا بالامة تدعوه الى تولي امرها .

وكان عهده بعكس تكهنات الخصوم عهد يسار ورخاء . وقد نصر دائماً قضية صغار الزراع والتجار والصانعين الذين كان يدعوهم « طبقة المنتجين » على كبار الاغنياء « المولودين في اليسر والترف » وعمد الى انقاص مصاريف الحكومة ليتمكن من تخفيف الضرائب والرسوم . وارسل اسطول الولايات المتحدة الى البحر المتوسط فضرب القراصنة الذين عاثوا طويلا مفسدين .

في سنة ١٨٠٤ جرى انتخاب جديد لرئيس الجمهورية وكان عدد الولايات المتحدة ١٧ ولاية فانتخبه الجميع الا اثنتان . وبذل جهده في عهده الثاني لابقاء دولته على الحياد في الحرب النـاشئة بين انكلترا وفرنسا في عهد نبوليون

وبعد ان قضى جفرسون عهدين في الرئاسة تخلى عن كل عمل عام لكنه بقي يشير على اولياء الامر بارائه . فهو الذي ارسـل في تشرين الاول ١٨٢٣ مذكرة الى الرئيس جيمس مونرو يشرح بها اقتراحاً ضرورياً اقتنع هذا بصحته وتبنـاه وصار معروفاً في التاريخ باسم « عقيدة مونرو » هذه العقيدة خلاصتها ان اميركا للاميركيين . وقضى جفرسون اعوامه الاخيرة في مونتيسلو بعدما ذابت ثروته الخاصة في انحطاط قيمة الاملاك الزراعية بسبب منع السفن من ارتياد المياه الاوربية . ومع ذلك اصر على دفع ديونه لدائني زوجته . ومات جفرسون يوم عيد الاستقلال الاميركي في ٤ تموز ١٨٢٦ في سن الثالثة والثمانين . اما معاصره الشهير الذي كان في البداية خصمه السياسي وفي النهاية صديقه الحميم جان ادمس فمات بعده بساعات قلائل ..

تعريب

امين الغريب



المعجمية العربية
على ضوء الثنائية والالسنية السامية

للاب أ. س. مرمرجي الدومنكي – ٢٣٥ صفحة – القدس – مطبعة الآباء الفرنسيين

قبل كل شيء لا يسعني الا ان أتقدم بخالص شكري على هديته الثمينة، ثم لا يسعني ايضاً الا ان اهنئه على توفيقه في البحث والصدق في الاستنتاج، وانا بين سرور واعجاب .

اما سروري فلأننا نلتقي في كثير من المقدمات الى كثير من النتائج ، واما اعجابي فلأن كتابه يؤلف حلقة في سلسلة كتب نوادر في العربية ، امتازت بطابع الفكر والتحرر والاسلوب المنطقي . وما أقلها لدينا ، ولعلها تكون فاتحة سعيدة في فجر نهضتنا تغري بالانتاج العبقري .

وبعد فانا استميحه عذراً في ان اضع بين يديه وبدي القراء نتائج مطالعتي لكتابه القيم ، ولاهمية النظرية التي يداورها من وجه ، ولقيمة الكتاب في النظرية نفسها ، عنيت بدرسه درساً مستهلاً ، حتى وقفت فيه عند كل سطر عند كل فقرة .

ويسرني كثيراً ان يحملها محمل التطارح بين صديقين ، جمعت بينهما فكرة ، وشدت اواصرها الغيرة على اللغة ، والنفور من التقليد الذي لا يستحق التقليد . وانا اورد هذه النتائج في سرد واختصار :

١ – ان فكرة الكتاب جديدة في الدراسات العربية اللغائية (الفيلولوجية) ، فهي تعتمد الثنائي اساساً للاشتقاق دون الثلاثي الذي درج الباحثون حتى اليوم على اعتماده . وهاك ما يقول في ص ٦ :

(مذهبنا غير مألوف بين علماء العربية ، الا وهو مذهب الثنائيين bilittéralistes المعاكس لمذهب الثلاثيين trilittéralistes . والثنائية هي النظرية القائلة بان الاصول في العربية وكذلك في اخواتها السامية ، ليست الالفاظ ذوات الحروف الثلاثة بل ذوات الحرفين ، اذن فمن شأن الثلاثيات ان ترد الى الثنائيات) . والعلامة المؤلف ذهب مع هذه النظرية حتى اقصى حدودها ، فانتهى الى نتائج بالغة الاهمية بالغة الدقة ، وهي تطعن الوهم القائل ان المفرد العربي خلو من المنطق في المعاني . واكتفي من شواهده الكثيرة بهذا الشاهد الذي يرجع اليه فضل تحقيقه والكشف عنه . فقد ذكر في ص ١٣٥–١٤١ كلمة (نهر) وانها وردت في العربية بمعنى جرى ومنه النهر ، ووردت كذلك بمعنى اضاء ومنه النهار ، ووردت ايضاً بمعنى زجر ومنه الانتهار . ونحن حيال هذا التنافر تأخذنا الحيرة ، ولكن حينما نعرف ان الثلاثي ليس اصلا لطائفة هذه المعاني بل الثنائي ، نطمئن اطمئناناً اكيداً . فان نهر بمعنى جرى يرجع الى ثنائي (هر) والهرهرة صوت الماء الكثير ، ونهر بمعنى زجر يرجع الى ثنائي (نه) والنهنهة زجر الابل والزجر عامة ، ونهر بمعنى اضاء يرجع الى ثنائي (نر) ومنه النور والنار .

وعلى سنة هذا المنهج يمضي في تحليل وعرض طائفة كبيرة من الامثلة والمفردات .

٢ – ان الكتاب يقوم على التطبيق دون العرض والتقرير ، وهذا اسلوب رياضي يستعمل في دائرة المسلمات العقلية ، اوليتوصل به الى التقرير . في مقدمة الكتاب اشارة سريعة الى نظرية الثنائية ، دون تفرغ الى عرضها بحيث نعرف : كيف انتقل من الثنائية الى الثلاثية ؟ واية الوسائل هي التي استعملها العربي وبعبارة اشمل السامي للتوصل في حلقات الى الثلاثي فالرباعي الخ ؟ . وهل كانت هذه الوسائل آلية لاتختلف ، ام كانت عفوية خالصة عرضة للتكيف والاختلاف ؟ . وهل العمل اللغوي الذي قاعدته الثنائية خضع للانتخاب الصناعي ، فهو وليد عقلية او ارادة لغوية . ام خضع للانتخاب الطبيعي ، فهو وليد سنة طبيعية تعمل في اللغة كما تعمل في الاحياء بصفة غير مشعور بها ؟ الخ . ولكن كما يتضح من المقدمة ان في نيته جلاء نظرية الثنائية من كل الوجوه ، وحبذا هذا في موضوع قل باحثوه .

٣ – يعجبني بوجه عام تطبيقه في بحث الكلمات اللغوية لقواعد علم الاحصاء ، واعتماده في الترجيح على الطبيعة الجغرافية كما فعل في بحث كلمة (البادية) ص ٩ – ٢٠ ، وعلى الطبيعة العضوية كما فعل في كلمة (حج) ص ٣٦–٥١ . وهكذا من كل ما يتصل بالطبيعة والطبائع ، هذا المنحى الذي يرضينا نحن اصحاب النزعة التطورية في اللغة .

٤ – يعرف الكثيرون من رأيي في الثنائي على ما فعلته في كتاب مقدمة لدرس لغة العرب ، اني أقيم للحركات اكبر القيمة في الدرس اللغوي النشوئي . ولو اهتدينا تماماً الى سر الحركات لانكشفت لنا اعظم المغالق التي لا يزال اللغائيون يتيهون في مجاهلها . وحينما نجد اليوم بعض اللغات غير المرتقية كالصينية تعتمد على الحركات في اختلاف المعاني وهي بدائية ، ننتقل بالنظر سريعاً الى ان لغتنا العربية كانت في مراحلها الاولى كذلك .

ومن رأيي ان الواو والياء والهمزة وحروف الحلق عامة حركات وليست حروفاً ، وانما في دور من ادوار اللغة وهو دور الانتقال من الثنائية للثلاثية ، جمدوا هذه الحركات في حروف واعطوها منازلها . وعليه فلكي نعرف قدامى المعاني للثنائي ، ينبغي ان ندور في دائرة واسعة على الثنائي وعلى المعل وعلى المضعف وعلى الثلاثي الحلقي . وكثيراً ما يوجد في معاني ثلاثي حلقي مثلا ، ما هو الاصل لطائفة المعاني المتطورة والمتحولة التي حفظها ارباب المعاجم وادرجوها تحت الثلاثي المضعف . وسأسرد في فرصة اخرى رأيي في بعض الكلمات التي بحثها المؤلف في كتابه الثمين .

عبدالله العلايلي

لزمن الحرب

للاستاذ فاضل سعيد عقل – ١٢٨ صفحة – منشورات الشعلة – بيروت

لزمن الحرب : هو عنوان الكتاب الذي اصدره الاستاذ فاضل سعيد عقل في منتصف هذا الشهر ... تناولتُ الابواب الاولى من هذا المؤلَف فتنكر لي المؤلِف انا الذي عرفت وتذوقت في فاضل روحه المجنح بالتفاؤل بل المنغمس في المجون ، عرفته يتطلع الى الدنيا من وراء « نظارات وردية » ليرى الوجود وردياً جميلا . ألِفتُ فاضلا يبزّ أبا نواسٍ في تنوّسه وابن ابي ربيعة في مجونه. ولولا خلوّ كتاب فاضل من « برميل سيار » و «عدس وتين» لقلت : والله لقد بعث ديوجينوس وابو العلاء حيّين

اجل لقد تنكر لي فاضل حين بوّب كتابه بعناوين هي سلسلة تشاؤم متماسكة الحلقات : « يأس، جنون ، انتقام ، خيبة ، بيلاطوس ، احتضار» الى ما فيه من موضوعات كلها تلتمع جراحاً و المًا .

ولكن .. ولكن ليس في ما قلته حتى الان ، للحكم على كتاب فاضل وادب فاضل حكما جدياً او صائباً ، وجل القصد ، ارسال بعض قرسات لوم ، بل التنديد بتلك الفلسفة والحكمة والعظة التي لبّى فاضل دعوتها ، قبل الاوان وهو بعد دون ربع القرن من العمر ، وترك وراءه نفرا ممن كانوا يلفون لفه في الادب الضحاك المعربد اللامبالي ، يدلجون في وادي المجون والعربدة واللامبالاة .:.

جميلة هي الفلسفة او الحكمة اوالعظة تخرج من «برميل» او «شخروب» ولكن ان تجرى من «حانة» – من حيث جرينا كثيرا وراءها ولم ندركها – فهنا الخيانة .

وغب قولي هذا .. اين الفلسفة في كتاب الاستاذ فاضل عقل ؟

— الفلسفة ، في قوله : الحرب « مصيبة واجبة» . وما اصدق هذه الفلسفة اذا ما عرفنا ان « الانسانية في ارتقائها نحو الاكمل » كانت – في كل ادوارها – تتعكز على هيا كل الناس .

وقوله : « ان حرب السلام عند اندحار الطغاة ستكون اشد من حرب السلاح » .

واين الحكمة ؟ –الحكمة ، في قوله : « لا عزاء للانسان الا نفسه» وقوله : « اذا كنا ربحنا حرب الجسم ، منذ الان ، فحرب الاخلاق ما تزال نتيجتها الفاصلة في مطاوي المجهول . . وقوله : « ما اغلى الصديق في الايام السود . . فلا نشعر بالحياة الا اذا قسناها بالفراغ الذي يتركه صديق يموت

ولا يبخس الاستاذ عقل المرأة حقها في هذا الكتاب : فهي عنده « كهذه الحرب النكراء المحفوفة بالاسرار والغوامض » .

ويتكلم عن « المثل العليا» .فيقول : « اية خرافة نحن في صددها ما دامت انفسنا ملصوقة باجسادنا والمال شريعة العلاقات الانسانية » .

« والجريمة الكبرى » في نظر فاضل لا تعزى فقط الى صاحب «الانانية والغرور والحلم الباطل » الذي يزج البشرية في مجزرة ، بل ايضاً الى من يصفق لهذه الانانية وهذا الغرور ويعجب بهما .

وزبدة القول ان الحروب ، كما يراها الاستاذ فاضل سعيد عقل ، هي جريمة بحد ذاتها ، وهي امثولة وعظة اذا ما قيس حاضرها بغدها ، وهي أخيرا سلّم ارتقاء مركوزة رجلاها في الامس ...

لنعد ، اخيرا ، على بدء .. فالذي آلمني وشجاني – كثيرا – اثناء مطالعتي كتاب « لزمن الحرب » هو ان فاضلا لم يترك « مدى حيوياً» مجال عبارة واحدة ، للخمرة ، في كل ما كتب . أعن فلسفة وحكمة ام عن تقشف وزهد .. وكانت الخمرة ، حتى عشية مطالعتي مؤلف فاضل ، بنظري ونظر فاضل ومن لف لفنا ، هي الفلسفة كل الفلسفة والحكمة جلّ الحكمة، وكان الزهد والتقشف لها . وبخاصة .. لزمن الحرب . .

غنطوس الرامي

مذاهب الادب الغربي

للاستاذ نجدة فتحي صفوة – ٦١ صفحه – مطبعة الرشيد ببغداد .

يحتوي هذا الكتاب على خمس محاضرات القاها الاستاذ نجدة فتحي صفوة من محطة الاذاعة ببغداد ، وتناول فيها مذاهب الادب الاوربي بالتسلسل الذي ظهرت به ، فبدأ بالمذهب الكلاسيكي الذي شاع في اوربا منذ القرن السادس عشر . وانتشر على الخصوص في فرنسا ، بعد ان تخلصت اوربا من نظم القرون الوسطى وعقليتها ، وتطور التفكير في الآداب ، وانتعشت حركة احياء العلوم انتعاشاً بيناً . ثم تحدث عن اثر الكلاسيكية في المسرح الفرنسي هذا الاثر الذي كانت مسرحيات كورناي وراسين بعض نماذجه ، وما لبث المذهب الكلاسيكي أن جمد و أصبح قيوداً ثقيلة وحجر عثرة، فوجد الشعراء والكتاب انفسهم أمام قوالب ضيقة ومناهج مرسومة، فاستحال الشعر والكتابة الى صنعة تقليدية ، فنمت النزعة المتحررة المتجددة شيئاً فشيئاً حتى صارت مذهباً له مميزاته ، وهو المذهب الرومانطيكي ، وألمع شخصياته في الادب الفرنسي لامرتين وهيغو ودي موسيه ودي فيني وبلزاك . وفي الادب الانكليزي وردوسورث وكوليردج وبيرون وشلي وكيتس .

ولما انتشرت المخترعات في القرن التاسع عشر انتشاراً واسعاً فانشئت القاطرات واسس التلغراف واستعمل الكهرباء واستخدم البخار ، أثر كل ذلك في الفكر تأثيراً بعيداً وقربه من المادية وجعله عملياً اكثر من ذي قبل ، وقد امتد هذا الاثر الى الفلسفة فظهر فيها مذهب جديد يدعو الى الاكتفاء بدراسة المشاهد الخارجية والظواهر المادية ، وهكذا خالفت « الواقعية » المذهب الروماتيكي الذي كان أدب عاطفة وخيال قبل كل شيء . وكانت الرواية الطويلة Roman خير مظاهر الادب الواقعي لما تصور من مشاهدات واقعة وظواهر عادية لا مبالغة فيها ، وأبرز اساتذة الواقعيين في الادب الفرنسي غونكور وجول ، واميل زولا والفونس دوديه وجى دي موبسان .

وختم المؤلف كتابه ببحث عن المذهب الرمزي ، الذي كان نزعة لم تقم لها مدارس غنية كسائر المذاهب الادبية ، وقوام هذه النزعة ان علماء النفس أجمعوا على ان العقل الواعي ما هو الا مظهر صغير حقير من مظاهر العقل الباطن ، فمن الخطأ اذن ان يتقيد الفنان بالعقل الواعي ، وان يخضع لحكمه المطلق ، فهنالك في زوايا النفس ، وراء عالم المحسوسات ، عوالم اخرى تضطرب فيها الخلجات وتزدحم الاحساسات ، وهي عوالم غامضة مبهمة يتلاقى فيها النور بالظلمة والبيان بالغموض والشعور باللاشعور . ويرى الرمزيون ان على الفن ان يغوص في تلك العوالم الغامضة والا يغال في اعماق النفس البشرية ، والتعبير عما في هذه الاعماق تعبيراً فنياً . . ومن اجل هذا ، كان من العبث – يقول الرمزيون – ان نبحث عن الوضوح في الفن لان نفس هذه الخلجات النفسية مبهمة لا تستطيع وصفها ، فالقطعة الفنية لا يمكنها ان تنقل الفكرة وانما توحي بها ايحاء

وقد وجدت هذه النزعة الرمزية عند دي فيني وبودلير قبل انتشار هذا المذهب في فرنسا ، فكانت قصائدهم الباعث القوي في اعجاب الناس بهذا الاسلوب الرمزي ، وفي ذيوع الرمزية في فرنسا ، الى ان ظهر بول فرلين رافع لواء الرمزية .

ويلاحظ على المؤلف ، هذا العرض السريع والتلخيص العابر للمذاهب الفكرية والادبية ، بدون ان يقف وقفة طويلة عند تفاصيل كل مذهب ، وعن خصائص رجاله ، وعن التيارات المختلفة التي كانت تتجاذب هـذا المذهب او ذاك ، ودون ان يبحث –على نحو مفصل– عن صورة المذهب في كل شخص من شخصياته الاولى ، هذه الصورة التي تتغير في كل شخصية ويختلف اتجاهها . ولعل في كتابة هذه الابحاث لتلقى على الجماهير من الاذاعة ما يبرر هذه النظرة الطائرة .

وقد ألح الكاتب ، اكثر من مرة ، بضرورة اتصال ادبنا العربي بالآداب الغربية ، اذا اراد ان يعيش وان يكون ادباً عالمياً ، والتاريخ يرينا ان كل نهضة ادبية وفكرية سبقت بحركة ترجمة واسعة النطاق وهذه الدعوة جليلة الاثر ، جد قيمة ، غير انها محققة منذ امد بعيـد ، وقد جنينا ، ولا نزال نجني ، ثمراتها فيما نقرأ من الوان جديدة عند ادبائنا المعاصرين .

باخوس

للاستاذ عبد الرحمن ابو قوس – ١٢٤ صفحة – حلب

في اساطير اليونان ان بجماليون الفنان البارع في جزيرة كريت ، انصرف عن الحياة وصدف عن زينتها وملاذها ليعيش مع فنه وحـده ، ونفر من استهتار النساء في أعياد آلهة الحب فينوس ، لينفرد بهذا التمثال العاجي – غالاتيا – الذي يرى فيه نفسه الجميلة الصادقة . ولم تلبث ان تحركت في نفس بجماليون نزعات الحياة فضرع الى الآلهة ان تنفخ في التمثال الروح . فاستجابت ، فاذا التمثال الرخامي أمرأة حقيقية ، واستمرت عواطف بجماليون نحو غالاتيا المرأة تنمو وتزداد كما كانت عندما كانت غالاتيا حجراً فتزوج منها ، ثم ولد له منها ابنه «باخوس» آله الخمرة ، الذي بنى مدينة الحب المشهورة باسمه في جزيرة كريت .

ومن هذه الاسطورة استوحى كثير من الكتاب موضوعات لقصصهم فكتب برناردشو « بجماليون » عارضاً فيها حياة فتاة حية بعثها بجماليون بعثاً جديداً ، فقد كانت فقيرة بائسة لا تعرف شيئاً من الوان الحياة الزاهية فلم يكد بجماليون يعثر بها حتى لقنها وهذبها وانار لها طرق حياة النبلاء وعندما وجدها متعة للابصار انتقل حبه لنفسه لنجاحه بهذا العمل ، الى ان يحبها على غير وعي منه اولا ، ثم على وعي قوي أخيراً .

وفي أدبنا العربي الحديث ، كتب الاستاذ توفيق الحكيم بجماليون معتمداً على هذه الاسطورة اليونانية بعد ان جمع بينها وبين اسطورة يونانية اخرى وصور فيها مشكلة الفنان بين حياتين : حياة الناس التي يجب ان ينال حظه منها ، وحياة الفن التي تجذبه لينغمس فيها .

وهذه المرحية ، باخوس ، كتبها الاستاذ عبد الرحمن ابو قوس احد ادباء سوريا الشمالية الشباب معتمداً على أسطورة بجماليون ، وتبدأ بحوار يدور في شارع من شوارع مدينة باخوس – وهي المدينة التي بناها باخوس نفسه – بين مجموعة من النساء ، فيتحدثن عن احتقار باخوس للنساء وهضمه لحقوقهن ، لانه قال في دستوره يوصي كل رجل : اذا لم تكن زوجتك كالتمثال الرائع الجميل ، فحطمها . ويتنادين للذهاب الى باخوس امام ساحة قصره ويرفعن اليه رأيهن ، الذي فيه دفاع رائع عن المرأة ، التي لا تريد ان تكون من المرمر ! امام فنان يظن انه يستطيع ان يكيف هذا المرمر كما يشاء ، وله ميزة الفنان الخالق دائماً .

ثم تقبل احداهن فتخبرهن بان باخوس برئ من دستوره وان صاحب الدستور هو النحات وهو صاحب التمثال وعدده في « الابداع » الشعر والفن والفلسفة ، ويحاول « الشعر » اقناع النساء فلا يستطيع ، ويقوم « الفن » فيخفق ، ولم تكد « الفلسفة » تقنعهن حتى افسد باخوس نفسه هذا الاقناع ، فقد اتهم النساء بالكفر وهددهن بالانتقام الشديد .

ويبحث الرجال عن النساء فيعلمون انهن قد هجرن المدينة فيسيرون الى باخوس يسألونه ، ويجتمعون بنسائهم ، ويتحدون للمطالبـة بهدف واحد : ان لا يكون اكتشاف الجمال غايـة الانسان ، وان لا تكون الشهوة غاية اللذة ، وان يكون الجمال ينبوع اللذة .

ويفهمون باخوس بان التماثيل رمز الاثرة وحب الذات وان النحاتين عشاق انفسهم ، لانهم يرون عملهم فيما ينحتون من تماثيل ، وان الذي يسرق قلب المرأة ليكون له تمثالا كالذي يسرق قوت الجائع ليكون له ثروة . .

وهكذا استطاعوا ان يتحرروا من كل شيء ، واسدلوا الستار على الاساطير التي لم يبق لها الا الذكرى ثم النسيان . .

وتمثل شخصيات المرحية افكاراً ورموزاً انسانية يحسها القارىء احساساً قوياً . واسلوبها موسيقي مشرق ، ويكثر في جملها وفقراتها الحكم والافكار المستقلة التي تصح ان تكون قطعاً قائمة بذاتها . ويستهوي القارىء طريقة العرض المرحي ، التي احكمها المؤلف واجاد فيها اجادة جذابة مشوقة .

الاجنحة المتكسرة

للاستاذ وليم صعب – ٣٢ صفحة – المطبعة الحديثة – بيروت

« الاجنحة المتكسرة » قصة نثرية وضعها نابغة الادب العربي الحديث جبران خليل جبران ، نقل فيها حادثة من حوادث حياته وسكب فيها ارق عواطفه واصدقها .

ولما رأى الاستاذ وليم صعب روعة هذه القصة وجمالها ، ورأى ان تأثيرها في نفوس عامة الشعب يزداد ويقوى اذا سمعها الشعب بلغته التي يتكلمها وبشعره الذي يغنيه ، اقتبس منهـا مسرحية زجلية ذات خمسة فصول .

وان اول ما يتبادر الى القارىء ، هذا التوفيق الذي اصابه الاستـاذ وليم صعب في سبر غور جـبران وفهم روحيته واظهار عواطفه ، ناقلاً معاني جبران الى عشاق فن الزجل بلغة شعبية حلوة .

ولا يكاد ينتهي القارىء من المسرحية حتى يردد قول جبران نفسه : « عندي ان في المواليا والزجل و «العتابا» و«المعنى» من الكنايات المستجدة والتعابير الرشيقة المستنبطة والاستعارات المستملحة ما لو وضعناه بجـانب تلك القصائد المنظومة بلغة فصيحة ، والتي تملأ جرائدنا ومجلاتنا ، لبانت كباقة من الرياحين بقرب رابيـة من الحطب ، او كسرب من الصبايا الراقصات المترعات قبالة مجموعة من الجثث المحنطة »

ما اصدق هذا الكلام على زجل الاجنحة المتكسرة تجاه بعض الناظمين باللغة الفصيحة .

برنامج انتخابي

للاستاذ فرج‌الله الحلو – بيروت

اصبح الناخب اللبناني على حظ وافر من النضج في فهم الغاية التي يتجه اليها عندما يضع صوته في صندوق الانتخاب ، فهو يدرك ادراكا واضحاً انه ينتخب مبدأ معيناً له مناهجه ، ويفضله على مبدأ آخر له مناهجه، فالكتل الانتخابية بدأت تقدم للشعب برامج شاملة مفصلة تتناول جميعها خير هذه البلاد العزيزة ومستقبلها القريب ، وتختلف فيما بينها في الوسائل التي تسلك للوصول الى هذه الغاية .

ومن بين هذه البرامج تقرير واف قدمه الاستاذ فرج الله الحلو الى الشعب يتحدث فيه عن معنى عودة الحياة الدستورية ، وعن مرحلة الحرب الحاسمة ، وقد تناول خطوط المنهاج الاساسية فقال ان ادراك خطر آفة النازية والفاشستية على حرية وطننا وكيان بلادنا ، وكفاح هذا الخطر كفاحاً لا هوادة فيه هو اول ما يجب ان يمتاز به رجال المجلس النيابي المقبل في لبنان .

ثم بيّن رأيه في تنظيم الاعاشة والتموين وتشجيع الصناعة الوطنية والرأسمال الوطني ، وهذا التشجيع يكون اولا بالدفاع عن العمال الذين تقوم على سواعدهم الصناعة الوطنية وتزدهر حياة البلاد الاقتصادية .

وثروة البلاد تعتمد على الزراعة اعتماداً رئيسياً، لذلك سيكون السعي لمعاونة الفلاحين والمزارعين حتى يتمكنوا من تحسين ارضهم وترقية زراعتهم، عن طريق المساعدات الفنية وبواسطة تعميم الري في جميع الاراضي عنصراً من عناصر المنهاج الاصلاحي .

ولم ينس الاستاذ فرج الله الحلو اصلاح التعليم ومكافحة الامية والجهل، وتوزيع الضرائب ، وتنشيط التجارة الوطنية ، وما في العمل في سبيل ذلك من فائدة وخير للبنان في عهده الجديد .

العصامي جزار بك رعد

للاستاذ نجيب نجم كرم – ٦٢ صفحة – بيروت

من الناس من لا يعتقد بالمستحيل ، هؤلاء هم اصحاب الارادة القوية التي تدفعهم الى الاقدام بعنف ، فيقدمون رغم كل شيء ورغم كل العراقيل والكبوات والصدمات ، الى ان ينجحوا بعد جهاد طويل كله ثبات وعزم ومثابرة .

ولتسجيل حياة هذا النوع من العصاميين الذين جعلوا من انفسهم رجالا كباراً ، ولترجمة تفاصيل حياتهم واجتيازهم العقبات ، آثار فعالة تعلم الجيل من الشباب روح الاقدام على العمل ، ومغالبة الصعاب حتى الانتصار عليها .

وقد رأى الاستاذ نجيب نجم كرم ان يقوم بتقديم سلسلة من تاريخ رجالات لبنان العصاميين ، الى الشباب ، وبدأ هذه السلسلة بجزار بك رعد متحدثاً عن رحلته الشاقة الطريفة الى اميركا ، وكيف دافع مدى اربعين عاماً قساوة القدر وخشونة العيش حتى استطاع باعتماده على نفسه وثباته وجده وحسن سريرته وقوة صراحته ، ان يجمع ثروة خدم بها وطنه بعد ذلك ، وعطف على من حوله من الانسانية المتألمة المحتاجة ، وأقام بها مشاريع حيوية .

وهذا الكتاب صفحات رائعة عن الكفاح المثمر المنتج في حياة رجل .

تطلب مجلة « الاديب »

بيروت	من	السيد خضر النحاس وعموم الباعة
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد يوسف بو ديب
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
عاليه	«	مكتبة السيد نجيب سلمان
زحله	«	« السيد جوزف مطران
بعلبك	«	« السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	« السيد عبد السلام السباعي « السيد توفيق الشامي
دير الزور	«	السيد اديب ملوح
اللاذقيه	«	« السيد حنا نصره « عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد متزلجي
طرطوس	«	« الاستاذ صالح علي
حلب	«	« السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	« الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
يافا	«	« السادة حنا وجورج بوري
حيفا	«	« السيد توفيق زعبلاوي
نابلس	«	« السيد ماجد القطب
فلسطين عامة	«	عموم المكاتب والباعة
بغداد والبصره	«	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد
الموصل		مكتبة الشعب : السادة عبد النافع فاضل وسعيد احمد
مصر	«	عموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً في العراق بـ ٦٠ فلساً (الموصل ٦٥) في فلسطين بـ ٨٠ ملاً وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

القاهرة ٢ حزيران – اقيمت علاقات سياسية واقتصادية بين مصر والاتحاد السوفياتي على اساس عدم تدخل احدى الدولتين في شؤون الدولة الاخرى الداخلية . دمشق – قدم قنصل المملكة السعودية العربية العام في سوريا اوراق اعتماده الى وزارة الخارجية السورية .

ألجه ٣ – تشكلت اللجنة الفرنسية لتحرير الوطن الفرنسي وهي تتألف من القائدين ديغول وجيرو رئيسين ، والقائدين كاترو وجورج والسادة رينه ماسيغلي ، جورج مونيه ، اندريه فيليب ، اعضاء . وعين الجنرال كاترو مفوضاً لتنسيق الشؤون الاسلامية وحاكماً عاماً للجزائر . وعين الجنرال بوسكا قائداً اعلى للقوات الجوية في افريقيا الشمالية والغربية الفرنسية .

القاهرة – جرى تعديل وزاري في الحكومة المصرية باضافة وزيرين جديدين هما امين عثمان باشا لوزارة المالية وفهمي ويصا بك لوزارة الوقاية المدنية .

لندن ٤ – نشبت ثورة اهليه في الارجنتين ، اذ قامت فرق عسكرية مسلحة بالانتقاض على الحكومة بقيادة الجنرال « بادرو رميريز » .
وقد دخل الثوار العاصمة بونس ايرس ففادرها الرئيس كاستيلو هارباً الى الاورغواي .

لندن ٥ – توفي جورج ماندل الوزير الفرنسي السابق في احد المعتقلات الالمانية . بيروت – توفي حكمت بك جنبلاط النائب والوزير السابق في الحكومة اللبنانية .

موسكو ٦ – اغار الطيران السوفياتي بأسراب تتألف من ٥٠٠ طائرة على القاعدة الالمانية اوريل ولم يتخلف من هذه القوة الجوية الجبارة سوى طائرة واحدة .

بيروت ٧ – عين فخامة السيد جان هيللو ، سفير فرنسا ، مندوباً عاماً مطلق الصلاحية لفرنسا في الشرق خلفاً للجنرال كاترو .

بونس ايرس ٨ – تشكلت الحكومة الارجنتينية برئاسة الجنرال راميريز كما يلي :
ألفيس اميرال ستورني للخارجية ، الكولونيل جيلبرت للداخلية ، الاميرال غالينديس للمالية ، الكولونيل انايا للتربية الوطنية ، الجنرال فاريل للحربية ، الكونتر اميرال سوبرو للبحرية .

ألجه ٩ – عزلت جزيرة بانتيلاريا عن سائر ايطاليا بفضل الحصار الذي ضربه الحلفاء حول الجزيرة . ولم تعد تتلقى اي تموين .

القدس – قام رفعة النحاس باشا رئيس الوزارة المصرية بزيارة الى فلسطين وقد رحبت به البلاد الفلسطينية اجمل ترحيب .

لندن ١٠ – اعترفت حكومة الاورغواي بلجنة التحرير الفرنسي الوطنية .

لندن ١١ – اعترفت بولونيا بتشكيل لجنة التحرير الوطني في الجزائر . لندن – وقعت جزيرة بانتيلاريا في ايدي الحلفاء بعد مقاومة دامت اسبوعين وقد اسر فيها نحو ١١ الف جندي ايطالي . القاهرة – منحت الحكومة المصرية الضيافة للحكومة اليونانية المنفية ، كما منحت الحكومة البريطانية تلك الضيافة للحكومات البلجيكية والهولندية واليوغوسلافية والبولونية .

لندن ١٢ – سقطت جزيرة لامبيدوزا الايطالية في ايدي الحلفاء .

لندن ١٣ – استسلمت جزيرة لينوزا للحلفاء بدون مقاومة . القدس – وصل الى القدس وفد تجاري من المملكة العربية السعودية للاتصال بالدوائر التجارية في فلسطين وتنظيم شؤون التبادل التجاري بين المملكة السعودية وفلسطين .

لندن ١٤ – استولت البحرية البريطانية على جزيرة لامبيوني ، وهي آخر جزيرة في مجموعة جزر بلاجي في مضيق صقليه وتقع على بعد ثمانية اميال من شمال غرب لامبيدوزا . ويبلغ طولها ثلاثة ارباع الميل وعرضها نصف ميل .

لندن ١٥ – بلغ عدد من اخذوا من الاسرى في بانتيلاريا ولمبيدوزا ولينوزا (١٨) الف اسير .

شونغ كنغ ١٧ – احتلت القوات الصينية جزيرة بابلشوف الواقعة في وسط نهر يانتسي واستردت القوات الصينية مدينة توهوني على ضفة يانتسي الغربية منزلة باليابانيين خسائر فادحة .

لندن ١٨ – وصل الملك جورج السادس ملك انكلترا يرافقه وزيرا الحربية والطيران الى افريقيا الشمالية وقام بزيارة الجيشين الاول والثاني والبحرية الملكية والطيران الملكي البريطاني وينتهز جلالته هذه الفرصة ليزور جيش الولايات المتحدة والجيش الفرنسي اللذين ساهما مساهمة فعالة في انتصار تونس . بيروت – وصل الجنرال سيكورسكي الوزير البولوني الاول برفقة رئيس اركان حربه .

ألجه – اجتمعت اللجنة الفرنسية التحريرية بكامل هيئتها برئاسة الجنرال جيرو وقد وافق الاعضاء على اساليب العمل الواجب اتباعها من اجل سير المصالح سيراً حسناً وتسوية المسائل المتعلقة المختلفة التي تستدعي حلاً سريعاً ، وقد تبادل الاعضاء الاراء حول المشاكل الخاصة بتنظيم القوة الفرنسية .

لندن – احتفل الفرنسيون المناضلون في سائر انحاء العالم بذكرى نداء الجنرال ديغول الى وجوب المثابرة على القتال .

روما ١٩ – افادت وكالة ستيفاني ان موسوليني اعلن مقاطعات فوجيا وباري وبرنديزي وليشي وتورانتو وكوسانزا وكاتانزارو وريجيو والكالاب ومطيرا مناطق محذورة . لندن – عين المرشال ويفل نائباً للملك في الهند خلفاً للمركيز دي « لينليثغاو » . وسيخلفه في القيادة في الهند الجنرال اوكنلك

لندن ٢٠ – قرر المسلمون المقيمون في مانشستر خلال الاجتماع السنوي الذي عقده فرع الجمعية الاسلامية فيها بناء مسجد في ولاية لانكشير . وعند صدور هذا القرار بلغت تبرعات الحضور من اجل ذلك ٣٥٠ جنيهاً .

انقرة ٢١ – حدث زلزال عنيف كان محوره مدينة « آدهبزار » حيث دمر نحو خمسة الاف منزل وتقدر الضحايا المطمورة تحت الانقاض باكثر من خمسة الاف . سان باولو – صرح المفتش العسكري للصحف في سان باولو بقوله : ان قوة الحامية البرازيلية ستشترك في غزو الحلفاء لأوربا وهي تستعد الان للسفر الى ما وراء البحار . لندن – بلغ مجموع ما فقدته المانيا من الغواصات خلال مدة الحرب ٢٥٠ قطعة .

لندن ٢٢ – اشتركت ٧٠٠ قاذفة بريطانية بهجوم عنيف على كريفيلد في شمال المانيا . لافاليت – وصل الملك جورج السادس يوم الاحد الى مالطة على متن طراد « اورورا » فزار الجزيرة الاميرال كوننجهام . وقلد الفيلد مارشال غورت عصا فيلد المريشالية .

موسكو – بمناسبة الذكرى الثانية لهجوم هتلر على الاتحاد السوفياتي اذاع راديو موسكو تصريحاً خاصاً جاء فيه :

بلغت الخسائر الالمانية خلال سنتي الحرب ٦٤٠٠٠٠٠ رجل بين قتيل واسير ، بينما بلغت الخسائر السوفياتية ٤٢٠٠٠٠٠ بين قتيل ومفقود وفي الفترة نفسها فقد الالمان ٥٦٥٠٠ مدفع و ٤٣٠٠٠ طائرة و ٤٢٤٠٠ دبابة . وكانت الخسائر السوفياتية ٣٥٠٠٠ مدفع و ٣٠٠٠٠ دبابة و ٢٣٠٠٠ طائرة . وقد اباد الانصار فوق ذلك ٣٠٠٠٠٠ هتلري ودهوروا ما لا يقل عن ٣٠٠٠ قطار ونسفوا واحرقوا ٨٩٥ مستودعاً للذخيرة ودمروا ٣٢٦٣ جسراً للسكك الحديدية وعدة مئات من الدبابات .

ألجه ٢٣ – اعلن رسمياً في ألجه ان لجنة التحرر وافقت على قرار يتعلق بتنظيم القوات المسلحة الفرنسية وينص هذا القرار على تشكيل لجنة دائمة من الجنرال ديغول والجنرال جيرو ورؤساء هيئة اركان حربهما ، تكون مهمتها العمل لدمج جيوش البر والبحر والجو الفرنسية لتأليف جيش جديد واحد وسيكون للجنة امين سر دائم . وقد عين الجنرال ديغول والجنرال جيرو قائدين أعليين للجيوش الفرنسية في افريقيا الشمالية وافريقيا الغربية وافريقيا الاستوائية وسائر الاقطار التابعة لكل منهما .

بغداد ٢٤ – طرأ تعديل على الوزارة العراقية وقد ألف نوري السعيد باشا وزارته الثالثة على الصورة التالية : للرئاسة والدفاع نوري السعيد ، للداخلية : صالح جبر ، للخارجية : نصرت الفارسي ، للمالية : جلال بابان ، للعدلية : مختار بابان ، للاشغال العامة : تحسين العسكري ، للاقتصاد : سليمان البراك ، للمعارف عبدالاله حافظ .

لندن ٢٥ – عاد الملك جورج السادس الى انكلترا بعد قيامه برحلة الى افريقيا الشمالية ومالطه ، قطع خلالها اكثر من ستة آلاف كيلو متراً .

بيروت ٢٦ — استقبل حضرة رئيس الدولة رئيس الحكومة اللبنانية الدكتور ايوب ثابت في السراي الجنرال سيكورسكي رئيس الحكومة البولونية .

لندن ٢٧ – جاء عن الحدود الفرنسية ان شقيق الجنرال ديغول الذي كان قد اعتقله رجال الغستابو وأرسلوه الى المانيا ، انما قد فر من معتقله وفي نبأ آخر ان السيد فرانسوا بونسيه سفير فرنسا سابقاً ببرلين قد اعتقل مؤخراً .

لندن – اذيع ان الجنرال جيرو سيتوجه قريباً الى الولايات المتحدة

الى القراء

◆

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

– قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانيــة . ولا تقبل الاشتراكات لهـذه السنة الا من الاماكن التي لا تباع فيها المجلة .

في الخــارج :

جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة .

– الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزأين الاول والثاني) فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبهــا من الادارة .

– الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنــة الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحــالة جيدة . وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن الجزء الاول او الثاني من السنة الاولى .

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

– توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

الادارة